

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

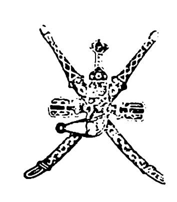
إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء

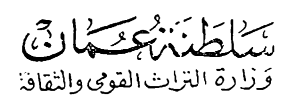
ويشتمل على ذكر أئمة المذهب الأباضي
وأصوله الصحيحة من الكتاب والسنة والإجماع

تأليف
الشيخ العلامة الجليل الفقيه الفاضل
سالم بن حمود بن شامس السيابي السمائلي

تحقيق وشرح
الأستاذة الدكتورة
سيدة اسماعيل كاشف
أستاذة التاريخ الإسلامي – كلية البنات
جامعة عين شمس

القاهرة
١٩٧٩





إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء

ويشتمل على ذكر أئمة المذهب الأباضى
وأصوله الصحيحة من الكتاب والسنة والإجماع

تأليف
الشيخ العلامة الجليل الفقيه الفاضل
سالم بن حمود بن شامس السيابى السمائلى

تحقيق وشرح
الأستاذة الدكتورة
سيدة اسماعيل كاشف
أستاذة التاريخ الإسلامى – كلية البنات
جامعة عين شمس

القاهرة
١٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم صاحب المعالى سمو الأمير

السيد فيصل بن على بن فيصل

وزير التراث القومى والثقافة

توالى وزارة التراث القومى ما أخذته على عاتقها من نشر المخطوطات العمانية المختلفة التى تثرى الفكر العربى الإسلامى ، والتى تشهد بتفوق أهل عمان فى الفقه والتشريع الإسلامى ، فضلا عن تقدمهم فى مختلف أنواع العلوم والفنون والآداب .

وحين اعتنق أهل عمان الإسلام فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام. أسلموا إسلاماً حسناً ، وشغلوا بأمر دينهم ودنياهم، وربطوا العلم بالإيمان، وتتلمذ على علماء عمان الكثير من علماء ديار الإسلام مثل اليمن وحضرموت والعراق وإيران ومصر وشمال أفريقية وشرقها .

وها نحن أولاء اليوم نقوم بنشر مخطوطة « إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء » لمؤلفها الشيخ العلامة الجليل الفقيه الفاضل أبى هلال سالم بن حمود بن شامس السيابى السمائلى .

وفى هذه المخطوطة يبين مؤلفها أئمة المذهب الأباضى فى فجر الإسلام ، وأصول المذهب الأباضى الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة والإجماع :

وإنا لنرجو أن نشاهد المخطوطات والمؤلفات العمانية النور وتصبح فى متناول أيدى الباحثين والعلماء والطلاب والقراء فى كافة أنحاء المعمورة .

حفظ الله عمان ووفقها إلى ما فيه خير أبنائها وخير الإنسانية فى ظل حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد .

فيصل بن على بن فيصل
وزير التراث القومى والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين
وعلى عباده الذين اصطفى

مقدمة

بقلم الأستاذة الدكتورة / سيدة إسماعيل كاشف

توضح مخطوطة « إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء » نشأة الأباضية ، وجوهر المذهب الأباضى ، والأئمة الأول لهذا المذهب الذين عنوا بتثبيت دعائم الإسلام وبالعمل على إقامة الصرح المتين للدين والدولة. كذلك يتحدث مؤلف المخطوطة عن الدعاة الأول الأباضيين فى اليمن وحضرموت وشمال أفريقية . أما عُمان فهى موطن أمام الأباضية وعالمها وفقيهها ، جابر بن زيد الأزدى العمانى . ولد جابر بن زيد قبيل نهاية خلافة عمر بن الخطاب فى بلدة الفَرْق من أعمال نزوى فى عمان . وجابر من ولد عمرو بن اليحمد، وهى قبيلة من القبائل الأزدية البارزة فى عمان؛ ومنها بنو خروص المشهورون فى تاريخ عمان . وقد اختار مؤلف المخطوطة اسم « إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء » لأن جابر بن زيد كان يكنى بابنته « الشعثاء » التى لا يزال قبرها معروفاً فى الفرق إلى الآن . أما الوعثاء فهى المشقة والجهد ، أى أن المؤلف أراد من كتابه هذا الترجمة لإمام الفقه الأباضى ، وأن يسهل على الباحثين عناء البحث فى المذهب الأباضى ونشأته فضلا عن التأكيد على دور جابر وتلاميذه فى العناية بنشر المذهب الأباضى وإقامة الإمامة الإسلامية الصحيحة .

تلقى جابر بن زيد المرحلة الأولى من تعليمه فى وطنه عمان ، ثم رحل إلى البصرة للاستزادة من العلم والفقه،وكانت البصرة آنذاك إحدى المراكز العلمية الهامة فى الدولة الإسلامية ، كما كان لها صلات وثيقة بعمان جغرافياً وبشرياً وثقافياً .

كان جابر بن زيد من كبار التابعين ،أدرك سبعين صحابيا من أهل بدر ، وكان عبد الله بن العباس من أعظم أساتذة جابر ، وكان الأستاذ — وهو البحر — يفخر بتلميذه الذى تعمق فى دراسة القرآن والحديث وعلوم الشريعة الإسلامية .

وعاصر جابر بن زيد كثير من الفقهاء والعلماء،مثل الحسن البصرى وعمرو بن دينار وغيرهما،لكن جابر تفوق عليهم جميعاً فى العلم والخلق والعمل والشجاعة فى الرأى . وكان جابر بن زيد مفتى البصرة، كما كان من أوائل التابعين الذين عنوا بتدوين الأحاديث والسنن ، وسبق جابر بذلك أصحاب المذاهب الأربعة عند أهل السنة .

وروى عن جابربن زيد أكثر أهل المذاهب واعتمدوا على ثقته وأمانته . وأخذ عن جابر : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم ، كما أخذ عنه المفسرون مثل: الجصاص ، كما تتلمذ على يديه عشرات من العلماء ، واعتبره أهل السنة من المحدثين الثقاة ومن الفقهاء البارزين .

وإن كانت نشأة الأباضية عقائديا وسياسيا بعد السنوات الأولى من خلافة عثمان بن عفان (حوالى سنة ٢٩ هـ) ، أو حين قبل على التحكيم ، وبايع الخارجون على التحكيم عبد الله بن وهب الراسبى أميراً للمؤمنين فى سنة ٣٧هـ ،

إلا أن جابر بن زيد يعتبر مؤسس المذهب والفكر الأباضى. وبالرغم من من أن أبا الشعثاء قضى معظم حياته العلمية فى البصرة وفى عصر سلطان الأمويين حيث كانت يد الحجاج الحديدية تبطش بكل مناوئ للدولة ، إلا أنه التزم برسالته الدينية العلميــة . وألف جابر موسوعته العلمية النفيسة التى عرفت باسم « ديوان جابر » وذلك فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى . ولم يقتصر نشاط جابر بن زيد على التفقه والاستزادة من العلم ، أو على التعليم والتأليف ، بل كان يعمل للرجوع بالدولة الإسلامية إلى نهج أبى بكر وعمر ، وعثمان فى سنى خلافته الأولى وعلى بن أبى طالب قبل التحكيم . وكان يحض تلاميذه على العمل على قيام الإمامة العادلة المبنية على الأصول الصحيحة للإسلام .

وفى فترة نفاه الحجاج إلى وطنه عُمان ، لكنه مالبث أن عاد إلى البصرة مكملا لمذهبه الدينى والسياسى ، محاولا القضاء على الملك المستبد الذى لا يستند على القرآن والسنة والإجماع .

وحين توفى أبو الشعثاء فى سنة ٩٣ هـ حمل تلميذه أبو عبيدة مسلم ابن أبى كريمة التميمى البصرى رسالته الدينية والسياسية ، وأخذ فى تنظيم الحركة الأباضية التى انتصرت فى عُمان — موطن أبى الشعثاء — وقامت الإمامة فيها ؛ كذلك قامت الإمامة فى اليمن وحضرموت ، وفى شمال أفريقية . ويسرد مؤلف المخطوطة أسماء العلماء الذين حملوا العلم والفقه الأباضى إلى شمال أفريقية وإلى اليمن .

ويستند الأباضية الآن فى الفقه على مسند الربيع بن حبيب الأزدى

الفراهيدي العُماني البصري . وكان الربيع شاباً حين التقى بجابر ، وكان الربيع يقول : أخذت الفقه من ثلاثة : «أبي عبيدة وأبي نوح وضمام بن السائب» . وقد أخذ هؤلاء عن جابر بن زيد .

ثم يحدثنا مؤلف المخطوطة عن بعض أئمة الفقه الأباضي العُمانيين الذين حملوا العلم من البصرة إلى عمان ومنهم أبو المنذر بشير بن المنذر النزواني ، ومنير بن النيّر الجعلاني ، وموسى بن أبي جابر الأزكوي ، ومحبوب بن الرحيل .

ويختم المؤلف مخطوطته بالكلام عن عبد الله بن أباض الذي كان من أتباع أبي الشعثاء ، والذي أطلق الأمويون اسمه على هذه الجماعة المؤمنة المسلمة وذلك منذ خلافة عمر بن عبد العزيز الأموي (٩٩ — ١٠١ هـ) (انظر ص ٤٥ من المخطوطة) .

ولعل السبب في تسمية هذه الجماعة المؤمنة المسلمة بالإباضية يرجع إلى أن عبد الله بن أباض استطاع أن يدافع عن آراء جماعته علنا ، وأن يدحض القول بأنهم من الخوارج ، أو من متطرفي الخوارج . وفي كتاب عبد الله ابن أباض إلى عبد الملك بن مروان ، يتبين لنا شجاعته في الحق وقوته في المناظرة والمجادلة ، كما نعرف منه أن عبد الله بن أباض عاصر الأحداث أيام معاوية بن أبي سفيان .

ومن هذا الكتاب نعرف آراء هذه الجماعة المسلمة المؤمنة ، التي سميت باسم الأباضية ، وذلك فيما يتعلق بالتطورات الدينية والسياسية التي حدثت منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى زمن عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) .

أما المراجع التى رجعنا إليها فلا تبين أين ومتى ولد عبد الله بن أباض، ولا تتفق على سنة وفاته ، وإن كنا نعرف من سيرته أنه عاصر الإمام جابر بن زيد وأخذ عنه ، كما أنه عاصر أحداث الدولة الأموية منذ معاوية بن أبى سفيان إلى عبد الملك بن مروان. وقد اختلفت المصادر حول شخصيته ، فعده البعض خارجيا ، واعتبره آخرون من غلاة الخوارج . وقد اختلفت المصادر أيضاً فى اسمه ونسبته الصحيحة ، فذكر البعض أن الأباضية أصحاب أباض بن عمرو(١).

أما فتح همزة « أباض » أوكسرها فيختلف فيها الإباضية أنفسهم . فنى عُمان يفتحون الهمزة وبذلك تصبح النسبة إلى أباض « الأباضية » . وفى شمال أفريقية يكسرون الهمزة وتصبح النسبة إلى أباض « الإباضية » .

ونرى المقريزى (٢) يذكر أن الأباضية هم أتباع « عبد الله بن أباض من بنى مقاعس واسمه الحرث بن عمرو ، ويقال بل ينسبون إلى أباض بضم الهمزة وهى قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد بن عامر » .

كذلك تذكر بعض المصادر مثل الشهرستانى (٣) والمقريزى (٤) أن خروج عبد الله بن أباض كان فى زمن مروان بن محمد الأموى .

ولكننا نسمع أول ما نسمع عن اشتراك عبد الله بن أباض فى أمور الدولة

---

(١) الملطى الشافعى ، كتاب التنبيه والرد ص ٥٢

(٢) المقريزى ، الخطط ج ٢ ص ٣٥٥ وانظر مادة « أباض » فى ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ٦٧ (الطبعة الأولى — مطبعة السعادة . مصر ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م) .

(٣) الملل والنحل ص ٢٤٤

(٤) الخطط ج ٢ ص ٣٥٥

الإسلامية حين خرج هو وجميع فرق المحكّمة للدفاع عن مكة مع عبد الله ابن الزبير ضد جيش يزيد بن معاوية فى سنة ٦٤ هـ ، ثم رجوعه إلى البصرة بعد أن أمنت مكة .

ويذكر مؤلف المخطوطة أنه فضلا عن شجاعة عبد الله بن أباض فإنه كان يستند إلى قبيلته تميم فى البصرة ، وفى ذلك يقول المؤلف « أصله من تميم الذين هم الحجر الخشن كما عرفوا بذلك فى التاريخ » [ص ٤٤ من المخطوطة] .

* * *

أما مؤلف المخطوطة فهو فقيه وعالم أباضى عمانى معاصر يمتاز بكثرة الاطلاع والتحمس للأباضية ولوطنه عُمان . وهو يشير فى كثير من صفحات المخطوطة إلى المصادر والمراجع التى اعتمد عليها ، كما أنه يصحح الأخطاء التى ترد عن الأباضية فى مختلف المراجع . كما أنه كثيراً ما ينبه إلى أن الأباضية يركزون على الفقه والمسائل الدينية ، ويضيعون الكثير من حقائق التاريخ ولاسيما تاريخ عُمان مهد علماء وأئمة الأباضية .

وكثيرا ما يعمد الشيخ الجلبل – مؤلف المخطوطة – إلى الطريقة الخطابية فى كتابته ، وإلى الطريقة التعليمية لتوضيح مقصده ومرماه ، فضلا عن الوعظ والإرشاد فى كثير من المناسبات .

* * *

أما هذه المخطوطة فهى عبارة عن ٩٦ صفحة وهى مكتوبة بالخط النسخ الجيد ، وإن كانت تخلو من اسم ناسخها ، والوقت الذى انتهى فيه نسخها .

وفى كل ورقة من المخطوطة صفحتان ، وعرض الورقة ٥, ٣٢ سنتيمترا وطولها ٢٠ سنتيمترا . أما المكتوب من كل صفحة فهو ١٢ س . م عرضا × ١٤ س . م طولا تقريبا .

وقد أثبتنا أرقام صفحات المخطوطة فى صفحات الكتاب داخل مربع صغير .

وتخلو هذه المخطوطة من فهرس للموضوعات . فضلا عن أنه هناك صفحات بيضاء بدون كتابة وهى صفحة ٣٥ و٣٩ و٤١ .

* * *

وبعد فإننا لم ندخر وسعا فى الرجوع إلى القرآن الكريم وكتب السنة النبوية والأحاديث الشريفة ، فضلا عن المعاجم اللغوية المختلفة ودوائر المعارف وكتب التراجم والتصانيف المختلفة فى العقيدة والفرق والتاريخ والأدب ، وذلك رغبة منا فى تحقيق المخطوطة تحقيقا علميا منهجيا صحيحا .

وهذا الكتاب من أفضل الكتب التى تقدمها عُمان لتصحيح ما أخطأ فيه القدامى والمحدثون فى فهم الأباضية ونشأتها الأولى ، ولتوضيح دور العمانيين الرئيسى فى إرساء الفقه الأباضى والفكر الأباضى وربطهم العمل بالعلم والإيمان .

وإنا لنرجو أن تزدهر عُمان وأن توفق إلى نشر تراثها المجيد بفضل نشاط وزارة التراث القومى فى عُمان وعلى رأسها حضرة صاحب المعالى سمو الأمير فيصل بن على بن فيصل وزير التراث القومى فى سلطنة عُمان وذلك

فى ظل ورعاية حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله .

وإنا لنرجو أن نكون وفقنا فى تحقيق هذه المخطوطة ونحمد الله العلى القدير ونسأله القدرة على خدمة التراث الإسلامى العظيم .

دكتورة

سيدة إسماعيل كاشف

﴿ الامام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ﴾

من أتباع الامام جابر بن زيد رحمه الله أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء المعروف بالقفاف رحمه الله ورضي عنه وهو الحلقة الثالثة لسلسلة المذهب الأباضي فان الحلقة الأولى الصحابي المرضي أبا كان البحر ابن عباس او غيره من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم والحلقة الثانية أبو الشعثاء الذى مرت عليك ترجمته والحلقة الثالثة الامام أبو عبيدة مسلم رحمه الله قال العالم البطل علي يحيى معمر أبو عبيدة مسلم أخذ العلم عن جابر بن زيد جماعات كثيرة انتشروا في المشرق والمغرب وكان أعظمهم الامام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذى أصبح مرجع الاباضية دون خلاف بعد جابر بن زيد رغم ان له زملاء لايقلون عنه عملا بواجبات الدين ولا العلم بما يقتضيه الواجب قال هو ابو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مولى بني تميم اشتهر بلقب القفاف لأنه كان يشتغل بصنع القفاف وهي حرفة حرة شريفة استطاع ان يرزق منها هو وطلابه رزقا شريفا حلالا لا يعرق الجبين وكد اليمين رحمهم الله تعالى ورضي عنهم اذ ظلموا حقوقهم من بيت مال المسلمين حين تولى الامر أولئك الظلمة العتاة الذين صاروا أداة

شر وجبروت على أهل الدين والإيمان ولم يكفهم حتى آذوا خيار الأمة وفضلاءها في كل حركة وسكون وأصبح أهل العلم مهددين في بيوتهم ومظلومين حقوقهم قال صاحب الموكب تولى التدريس أي الإمام أبو عبيدة بعد الإمام جابر بن زيد فأخذ عنه العلم خلق كثير رغم ما ابتلى به من مضايقة الطغيان وتشديد الرقابة عليه ومنعه من نشر العلم وبث الروح المتحررة التي لا ترضى بالضيم ولا تسكت عن الهوان قال وقد اضطر تحت ضغط الظالمين إن يقوم بالتعليم مستترا وإن يخفي مدرسته القيمة عن أنظار الحجاج وأعوان الحجاج ذلك الطاغية الذي لم يكد يسلم من جبروته وطغيانه مؤمن بربه مخلص مع زميله وصديقه ضمام بن السائب الندبي العماني قال واستشار في أمرهما مجوسيا ليدله على نوع من الأكل يتغذب به الآكل ولا يفضي به إلى الموت فأشار عليه بإطعامهما الزيت والكراث فكان ذلك طعامهما إلى أن مات الحجاج فأطلق سراحهما فلينظر العاقل كيف يبتلي الله المؤمنين وهم تحت رعايته وبعين عنايته وليتأس بهما العاقل وليعلم أن فضائل الآخرة لا تدرك إلا بالصبر على مر الحياة في هذه الدنيا ومما يدلك على منازلهم عند الله تخليد ذكرهم على صحائف الأيام واستمرار الثناء عليهم وميل القلوب بالمحبة لهم وحسن

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل العلماء ورثة الأنبياء ، وجعلهم هداة الأمة إلا من صد عنهم من الأشقياء .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عليه الصلاة والسلام سيد الأولياء وخاتمة الرسل وصفوة الأتقياء ؛ صلى الله عليه وآله وصحبه وأتباعه السادة الأصفياء ما تليت آثار الهداة أجهابذة العلم وأرشدت بها الأغبيا .

أما بعد : فهذه رسالة أشبه بنجمة الفجر فى سماء العلم تلألا ، إذ تعرب عن الإمام العظيم أبى الشعثاء وأتباعه من الأمة ، إذ هم الثقاة الأوفياء .حررتها نبراسا يضىء سناؤه حوالك الجهل ، ويبرهن عن السلف الصالح وأعمالهم وما خلفوه بعدهم تراثا صالحاً لمن شاء اقتفاء آثارهم . ومن حيث إن الإمام أبا الشعثاء رحمه الله ورضى عنه هو أول قدوة صالحة وأصدق عامل لله نبدأ به إن شاء الله .

قال الإمام المؤرخ العلامة شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى فى كتابه « معجم البلدان » فى الجزء الثانى المطبوع فى بيروت سنة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م قال فى مادة الحرقان « الحرقة بالضم ثم الفتح والقاف ناحية بعمان » والصحيح أن هذا غلط ، [٢] فإن الحاء هنا فى الحقيقة جيم والراء بعدها هى فى الأصل واو ، والقاف آخرها هو الأصل فاء . والمعنى هى الجوف.

وهذا اسم يشمل ماكان من ديار العوامر تغريباً إلى نزوى وأزكى ، وإلى الحمراء وبهلى ثم إلى جبل الكور فى الغرب ، كما حققناه فى العنوان .

قال ياقوت : « ينسب إليها أبو الشعثاء » (١) . أى الجوف التى أفدناك حقيقتها ينسب إليها الإمام أبو الشعثاء ؛ وهو جابر بن زيد ، أى أبو الشعثاء الذى ينسب إلى الجوف ، وهو جابر بن زيد اليحمدى الأزدى ، أحد أئمة السنة من أصحاب عبد الله بن عباس إلى أن قال : ويقال له الجوفى بالجيم والواو والفاء لأنه نزل البصرة فى الأزد بمكان يقال له درب الجوف .

قلت : الصحيح أنه من أهل فرق من أعمال نزوى بلدة على باب نزوى خاصة من الجانب الجنوبى ، وهذا المكان كله يعرف عند أهل عمان .

قال : روى عن ابن عباس وابن عمر ، وروى عنه عمرو بن دينار وتوفى سنة ٩٣ هـ .

فتراه يشهد لجابر بن زيد أنه أحد أئمة السنة . وإذا كان جابر بن زيد أحد أئمة السنة ، كان هو الأسبق على غيره من أئمة السنة . وعلى كل حال إنه لكذلك رحمه الله ورضى عنه ، فإن المؤلفين للسنة جاءوا بعده بمدة يعرفها كل أحد . فقد أخذ جابر بن زيد حظه قبلهم ، وألف وصنف وحقق ودقق وأفاد واستفاد ، وله فضل السبق ؛ ولاشك أن [٣] الفضل للمتقدم .

وقد ألف الإمام أبو الشعثاء رحمه الله كتابه الذى شاع ذكره عند علماء الإسلام مشحونا بالسنّة النبوية . كما يقول ياقوت إنه أحد أئمة السنة ، أى أن أبا الشعثاء جابر بن زيد أحد أئمة السنة . قلت : لم يكن فى عهده أحد إمام فى السنة إلا أن يكون من الصحابة ، فإن أئمة السنة الذين دوّنوها واشتهروا بها إنما جاءوا بعد جابر بمدة طويلة كما يعرف ذلك أهل الاطلاع وخصوصا الأئمة الأربعة الذين هم أساس المذاهب الأربعة المشهورة المعروفة بالمالكية والشافعية

---

(١) الشعثاء هى بنت جابر التى كنى بها . وقد توفيت فى مدينة الفرق بعمان ، وقبرها معروف بها . انظر : محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٣ ص ١٣٩ .

والحنفية والحنبلية . (١) فكل هؤلاء إنما جاءوا بعد أبى الشعثاء رحمه الله بعهد لايخفى على أحد .

فيكون الإمام جابر بن زيد رضى الله عنه قد أخذ حظه من العلم ، وبلغ غايته ، وألف ودوّن ، وحقق ودقق ، ومهّد الأصول ، وقيّد الفصول ، وضبط الفقه كما ينبغى . والدليل على ذلك أن ابن عباس رضى الله عنه لايزال يحيل السائل على جابر بن زيد رحمه الله ويؤنب البصريين إذا جاءوا إليه مستفتين ومعهم الإمام جابر بن زيد كما سوف تسمع ذلك إن شاء الله . ولا تجد عن ابن عباس أنه أحال سائلا على غيره أيا كان إلا ما كان منه من الإحالة على الإمام جابر رحمه الله . فإن ذلك شاع عنه وتناقله العلماء . ولا يحيل ابن عباس سائلا يأتيه إلا لمن يعلم منه العلم الواسع والفقه الجامع [٤] كأبى الشعثاء رضى الله عنه . ولذلك أقبل نقلة السنة على الأخذ عنه إذ ذاك ، فروى عنه البخارى ومسلم فى صحيحيهما أحاديث معروفة . وشهد له الكثير من أهل العلم بالضبط والفطانة والصدق والأمانة فنقلوا آثاره فى مؤلفاتهم ، واحتجوا بأقواله فى أحكامهم . وقد قيل إن ديوان جابر المذكور حمل أربعة أجمال ، وقيل حمل جمل واحد ، وقيل أكثر . قلت : ان حمل جمل واحد من مثل الإمام جابر بن زيد رحمه الله شىء عظيم . وقد صح مكتبة سلطان بغداد

---

(١) ولد أبو حنيفة النعمان بن ثابت بالكوفة سنة ٨٠ هـ وقيل سنة ٦١ هـ وتوفى ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، وكان أشهر من دون مذهبه تلميذه أبو يوسف يعقوب بن محمد القاضى (١١٣–١٨٣ هـ) (ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١٨) . وولد الإمام مالك بن أنس الأصبحى فى المدينة المنورة فى سنة ٩٣هـ أو سنة ٩٥ هـ وتوفى بها سنة ١٧٩هـ (ابن خلكان وفيات الأعيان ج١ص ٥٥٥ — ٥٥٦) . وولد الإمام محمد بن إدريس الشافعى القرشى بغزة سنة ١٥٠ هـ وأتى إلى مصر سنة ١٩٨ هـ بعد أن تلقى العلم فى مكة والمدينة وبغداد وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ (ابن خلكان؛ وفيات الأعيان ج ١ص ٥٦٥ — ٥٦٦ ، وأبو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٦–١٧٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص١٢١–١٢٢) وولد الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى فى سنة ١٦٤ هـ وتوفى فى بغداد سنة ٢٤١ هـ (ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠ ، ٥٦٥) .

احتوى عليه وجعله زينة خزانته ولم يخلص إلى أهله ولعله لايوجد مثله(١) .

• وقد أخرجه نفاث النفوسي المشهور فى التاريخ المغربى ثم لم ينتفع به أيضا أحد، إذ أخفاه المذكور ، وظل يناضل العلماء ويحاورهم بما احتواه ديوان جابر المذكور ، وليته خرج إلى أهله وانتفع به المسلمون ، ولكن الأيدى الأثيمة لاتراعى صالحا دينيا (٢) .

وقد انتفع بعلم الإمام أبى الشعثاء رحمه الله الكثير من الناس وفى مقدمتهم عمرو بن دينار وتلامذته ، والربيع بن حبيب وأتباعه ، وأبو عبيدة وأصحابه رحمهم الله .

[٥] قال صاحب « الأباضية فى موكب التاريخ » : جابر بن زيد من كبار التابعين الذين نشروا الثقافة الإسلامية فى القرن الأول الهجرى . وقد عاش هذا الإمام العظيم مابين سنتى ٢١ إلى ٩٦ للهجرة النبوية . وإن أغلب المشاكل نشأت بين الأمة الإسلامية فى الثلثين الأخيرين من هذا القرن . وكان النزاع بين علماء الأمة فى الصفات والتوحيد والقدر والعدل والوعد والوعيد والسمع

---

(١) تلقى جابر بن زيد بداية تعليمه فى وطنه عمان ، وحين أراد التخصص فى علوم الشريعة رحل إلى البصرة حيث ملتقى العلماء والفقهاء . وكانت آراؤه فى الشريعة الإسلامية من مفاخر المسلمين . وقيل إن عبد الملك بن مروان وبنيه استولوا على ديوانه وحرموا دراسته ونشره على الناس . وروى أن العباسيين حرموا على الناس استنساخه ووضعوه فى مكتبة دار الحكمة فى بغداد وكانوا يعلمون أنه من مفاخر المسلمين . وكان ديوانه العظيم ثروة علمية عظيمة ومن تراث الأباضية العلمى العظيم .

انظر : الشماخى : كتاب السير ص ٧٠ ، محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٣ ص ١٣٨ — ١٤٩ .

(٢) يروى أن النفاث فرج بن نصر ، مؤسس النفاثية الأباضية فى جبل نفوسة حصل على نسخة كاملة من ديوان جابر بن زيد وأتى بها إلى جبل نفوسة لكنه دمر المخطوطة حتى لايستطيع مناوئوه الحصول عليها بسبب عداوته للإمام الرستمى فى تاهرت ولعامله فى جبل نفوسة . انظر أبو زكريا يحيى بن أبى بكر : السيرة وأخبار الأئمة . ورقة ١٦ ، وعلى يحيى معمر : الأباضية فى موكب التاريخ ج ١ ص ١٤٩ .

والعقل والرسالة والأمانة. وكان لإمام جابر بن زيد قد حقق هذه القضايا على ضوء هدى الصحابة رضوان الله عليهم، ودرس مسائل الاعتقاد، ووضح منها المراد، وحرر المهم من الدين فى ذلك الديوان العظيم الذى ألفه. ولكن كان من سوء الحظ أن تولت عليه الأيدى الجبروتية فحالت بينه وبين أهله.

وبقيت فيضانات هذا الإمام المتدفقة من ذلك اليم على تلامذته الكرام. فأغلب ما انتفعت به الأمة هو ما حمله أولئك عن ذلك الإمام فكانت بركاته عامة لأرجاء المذهب الصحيح.

قال صاحب « الأباضية فى موكب التاريخ » :

ولد أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدى سنة ٢١ (١) وتوفى سنة ٩٦ منها. وهو وإن كان عمانيا إلا أنه عاش فى العراق، فقد أمضى عمره المبارك فى البصرة، إحدى عواصم العراق العلمية فى ذلك الحين. عاش فى البصرة كما عاش أكثر زملائه من كبار التابعين.

عاش — أى جابر بن زيد — ينشر العلم فى المساجد [٦] والجامع ويبث الخلق الحميد بين الناس، ويدعو إلى التمسك المتين بالدين القويم، والمحافظة على أصوله وفروعه ويفتى فى المشاكل التى تعرض للناس؛ حتى قال إياس بن معاوية: لقد رأيت البصرة وما فيها غير جابر بن زيد. وقال ترجمان القرآن ابن عباس رضى الله عنه: عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وفيهم جابر بن زيد !! قال: ولما توفى قال أنس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « اليوم مات أعلم من على ظهر الأرض » (٢). قلت: وكان أنس بن مالك المذكور أحد شيوخ جابر بن زيد وهى من نوع شهادة بن عباس.

---

(١) فى المراجع تواريخ مختلفة لسنة مولد الإمام جابر بن زيد ولكنها تنحصر بين سنتى ١٨ هـ و ٢٢ هـ انظر أيضا: البرادى: الجواهر ص ١٥٥، الحارثى: العقود الفضية فى أصول الأباضية ٩٣

(٢) انظر: الشماخى: السير ص ٧٠

قال ودخل ثابت البنانى على جابر بن زيد وقد حضرته الوفاة فقال له : هل تشتهى شيئا ؟ فقال أشتهى أن ألقى الحسن البصرى (١) . وكان الحسن مستخفياً خوفا من طغيان الأمويين وعمالهم الجورة كالحجاج وأمثالهم . قال : فذهب ثابت إلى الحسن ، وكان يعرف مقره وجاء به إلى صديقه الحميم المحتضر . وتحدث التابعى المسلم الكبير إلى التابعى المسلم الكبير وتواصيا وهما يتأهبان فى الدنيا طويلاً (٢) ، ويأملان لقاءً فى الآخرة سعيداً.

وتحدث الحسن عن زميله ورفيقه وصديقه الذى رحل عن الدنيا واستقبل الآخرة فقال : هذا والله الفقيه العالم .

وقد شهد له بالفقه والعلم والدين [٧] وسماحة الخلق غير هؤلاء كثير من الصحابة والتابعين ، وكثير من تابعى التابعين ، غير أننى أكتفى بشهادة عبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وعائشة أم المؤمنين ، وهم من أخص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرفهم بحقائق الدين وأسراره ، وأعلمهم بمعانى القرآن الكريم ومواقع السنة ، وأكثرهم إلماماً بسيرته العطرة وهديه القويم ، يضاف إليها شهادة الحسن البصرى ، سيد التابعين ، وأقربهم من جابر وأعرفهم به .

قال : إن هذه الشهادة التى يعطيها أخص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويختمها سيد التابعين تعتبر أعظم إجازة معتمدة تعطى عن درجة علمية فى ذلك الحين .

قال : أخذ جابر بن زيد العلم عن عبدالله بن عباس ، وعائشة أم

---

(١) الحسن البصرى (أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى) : كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارى . نشأ بوادى القرى ومولده لسنتين بقين من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة (٢١ هـ) وتوفى بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة (١١٠هـ) : انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٤ (تحقيق محيى الدين عبد الحميد — مكتبة النهضة المصرية — الطبعة الأولى — ١٩٤٨ م — القاهرة)

(٢) فى المخطوطه : طويل

المؤمنين ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، وغيرهم من الصحابة . قال جابر بن زيد : أدركت سبعين بدريا ، فحويت ماعندهم من العلم إلا البحر ، وكان يقصد بالبحر ابن عباس رضى الله عنهما ، ولعله كان هو الذى لقب ابن عباس بذلك لما معه من العلم .

قال : وإذا استطاع هذا الإمام العظيم بما أوتى من جهد وذكاء وصبر أن يجمع علم سبعين رجلا من أهل بدر ، فإنه ليس من الغريب إن يكون جمع من علم بقية الصحابة رضوان الله عليهم [٨] مالا يبلغه الحصر لكثرة عددهم وسهولة الأخذ عنهم .

وقد تلقى عنه خلق كثير منهم قتادة شيخ البخارى ، وأيوب ، وابن دينار ، وضمام بن السائب ، وحيان الأعرج ، وأبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة الضرير أحد أئمة العلم الأجلا .

قال فى الموكب : عاش جابر بن زيد كما عاش غيره من كبار التابعين يجاهد لإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل ، ويدعو سرا وعلنا إلى أن الأمة الإسلامية يجب أن تحافظ على شريعة الله لتكون خير أمة أخرجت للناس (١) .

وكان يندد فى دروسه ومجتمعاته بأولئك الذين انحرفوا عن دين الله فحكموا أهواءهم ، وأرضوا شهواتهم ، واتبعوا سبيل الشياطين . وكان يبارك الثورة التى تطيح بالظلم وتنزع الحكم من أيدى الخونة لتضعه فى أيد أمينة عليه حريصة على قداسة الأحكام الشرعية .

---

(١) قال الله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) سورة آل عمران آية ١١٠ .

قال : وكان الأباضية يصدرون عن رأيه فى جميع أمورهم ، كما كان يصدر عنه كثير من غيرهم من المسلمين . وليس جابر هو التابعى الوحيد الذى كان هذا الرأى له وحده، بل كان رأى أكثر علماء الصحابة والتابعين فى ذلك الحين .

قال : ولذلك كان طغيان الأمويين وعمالهم يلاحق أولئك العلماء الدعاة فى كل مكان . وكثيرا مايفر أولئك العلماء الهداة فيستخفون عن الظلم ، ويفرون بدينهم عن الجبروت . وقد يلحق بعضهم كثير من الأذى فيتحمله صابرا فى سبيل الله .

قال : وكما كان جابر بطلا من [٩] أبطال الإسلام يحرص على تعريف المسلمين بدينهم ، وبالعزة والكرامة التى يريدها الله لهم ، ويكافح فى صبر وعزيمة ، طغيان الظالمين ، وأضاليل المبتدعين ، كان بطلا فى ترويض نفسه ، وحملها على سلوك الصراط السوى ، لاتغره شهرة العلم ، ولاتخدعه ثقة الناس به ، ولا تزدهيه نشوة الفوز بالانتصار على الخصوم . رأى يوما أحد طلابه يكتب أثناء الدرس. فنهاه أن يكتب شيئا غير آية محكمة ، أو سنة متبعة ، أما رأيه فلا عبرة به ، لأنه قد يجد فى المساء حجة أقوى من التى يستند اليها فى الصباح فيرجع عنها إلى ماثبت بالدليل الأقوى ، ويذهب الطالب بما كتب ينشر الباطل فى الناس .

كان للحجاج كاتب يدعى يزيد بن مسلم ، وكان يحب جابرا كل الحب ، ويعجب به كل الإعجاب ، وأخذت ظروف الحياة العادية جابرا إلى زيارة هذا الكاتب المعجب بجابر بن زيد . وكأن الكاتب أراد أن يخدم كلا من صديقه ورئيسه ، فهيأ لهما فرصة لقاء دون أن يشعرهما ، واستمع الحجاج إلى الإمام جابر بن زيد وهو يتدفق تدفق البحر ، فأعجب الحجاج بعلمه وخلقه ، فعرض عليه القضاء قائلا له :

لاينبغى أن نوثر بك أحدا ، نجعلك قاضيا للمسلمين . وكانت هذه هى الفرصة التى يرمى إليها الكاتب الماهر الصديق للإمام جابر . ولكن جابرا لم يكن طالب دنيا ، فقال : |١٠| أنا أضعف عن ذلك . فقال الحجاج : وما بلغ من ضعفك ؟ قال : يقع بين المرأة وخادمها شر فما أحسن أن أصلح بينهما !! فقال الحجاج : إن هذا هو الضعف !!(١)

وهكذا تخلص هذا الإمام الأكبر من ذلك الطاغية وأقنع صاحب هذا العرض الكريم الذى كان حريا أن تطير له النفوس من أناس آخرين فرحا ومسرة .

ويظهر أن الكاتب الصديق لم يفهم مقصد الإمام من هذا التخلص ، وكان يريد أن يستغل هذه الفرصة لفائدة الإمام وأن يخدمه خدمة دائمة . ولذلك قال للحجاج : هاهنا خصلة تخف عن الشيخ ، وفيها عون للمسلمين تجعله فى أعوان صاحب الديوان بالبصرة . فوافق الحجاج على الاقتراح ولكن العالم الزاهد لم يوافق . فقال ليزيد : ما صنعت شيئاً . أترانى أكون عوناً لصاحب الديوان ؟! وهكذا لم يقبل الإمام العرض الثانى الذى تقدم به هذا المعجب بهذا الإمام الجليل ، وتنزه أن يشتغل فى وظائف حكومة ظالمة . وهل يصح أن يعين جابر أولئك الظلمة وهو ينـدد كل يوم بأعمالهم ! ويطالبهم بأداء الحقوق إلى أهلها . وتسليم الأموال والعطايا إلى أصحابها ! وإسناد الوظائف إلى أهلها الأمناء الحراص الذين يتقون الله ويخافون حسابه ؟

---

(١) راجع أيضا : الدرجينى : طبقات الأباضية ورقة ٩ ، الشماخى : كتاب السير ص ٧٤

وعندما أراد الرجوع من هذه الزيارة وتهيأ للسفر ، أمر يزيد غلمانه أن يسرجوا البرذون(١) ؛ فاستحى الإمام من ربه [١١] أن يركب مركباً اختاره له الظالمون المرفهون ، واختص به الجبابرة المترفون ، فاستعفى صاحبه منه ، فأحضرت له بغلة فقبلها وركبها ، وهو يعلم أن ركوب البغلة أدنى إلى الخشونة ، وأبعد من الراحة وأنفى ، وأقرب من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان سيد الخلق يركب دلدلا(٢) الشهباء ، أى أن ركوب البغلة قريب من ركوب الحمار ، فهى أبعد من الزهو والإعجاب فإن البراذين اعتاد ركوبها الأمراء الكبار كما أشار إلى هذا الإمام عمر بن الخطاب رحمه الله .

قال : وبالغ يزيد فى إكرام الإمام على الطريقة التى يعرفها الحكام المترفون المسرفون فى الدول الظالمة ، فأمر جواريه أن يدهن رأس جابر ولحيته بالغالية . فنزل الإمام إلى دجلة وغسل وجهه ولحيته ودلكهما دلكا شديداً وهو يقول : اللهم لاتجعل حظى منك منزلتى عند هؤلاء القوم .

اعتاد جابر أن يحج كل سنة ، وفى إحدى هذه السنوات بعث إليه عامل البصرة : أن لاتبرح العام فإن الناس يحتاجون إليك ، يعنى فى التدريس . قلت : يعنى حوائجهم الخاصة لا خصوص التدريس ، فإن هذا العامل(٣) . ما كان مهتما بتدريس العلم أو درسه ، أما الفتوى فالناس يحتاجون إليها .

قال : ولكن جابراً أصر على موقفه ، وأبلغ العامل أنه لن يترك عملا

---

(١) البرذون : التركى من الخيل .
(٢) الدلدلا والدلدل : بغلة شهباء للنبى عليه الصلاة والسلام .
(٣) يقصد : العامل على البصرة

لله من أجل أوامر بشر ، وكان هذا البشر | ١٢ | عاملا من عمال الدولة الأموية ، فأخذه العامل وسجنه . وعندما أهل هلال ذى الحجة جاء الناس إلى العامل فقالوا : أصلح الله الأمير ! ! قد أهل هلال ذى الحجة ولم يبق من الوقت ما يكفى للسفر بين البصرة ومكه ، فأطلق الأمير سراحه ، أى ظانا أنه لا يمكنه السفر .

قال : ولما وصل جابر إلى منزله ، بدأ يشد الرحل على ناقته التى كان أعدها للحج ويقول : (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها)(١). ثم سأل آمنة زوجه هل عندك زاد ؟ فقالت له : نعم ! وأحضرت(٢). فى جرابين ، وطلب منها أن لاتخبر أحداً بمسيره فى ذالك اليوم . وانتهى إلى عرفات والناس بالموقف ، فضربت الناقة بجرانها(٣) الأرض وتجلجلت(٤) فقال الناس : ذكها(٥) ذكها ! ! فقال : حقيق لناقة رأت هلال ذى الحجة فى البصرة ، وأدركت الناس فى عرفات أن لايفعل بها هذا ، وسلمت الناقة(٦) . وكان قد سافر عليها أربعاً وعشرين مرة بين حجة وعمرة . قال : وإنه لمن نافلة(٧) القول أن أتحدث عن دين جابر وخلقه ، وخوفه لربه ، واتباعه للسنة ، وابتعاده عن البدعة ، وفهمه العميق عن أسرار الشريعة ،

---

(١) سورة فاطر . آية ٢ .

(٢) هيأته .

(٣) الجران : مقدم العنق

(٤) الجلجلة : شدة الاضطراب مع التصويت .

(٥) دكها .

(٦) انظر : الشماخى : كتاب السير ص ٧١ ،
ومحمد على دبوز : المغرب الكبير ج ٣ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٧) فى المخطوطة « ناقلة ».

ومحاسبته لنفسه ، وحملها على ماتكره النفس البشرية إذا كان فى ذلك قربة إلى الله عز وجل .

اشتهر عن جابر أنه كان لا يماكس(١) فى ثلاث : فى كراء إلى مكة ، وفى عبد يشترى ليعتق ، وفى شاة للتضحية .

وكان يقول : لاتماكس فى شىء تتقرب به إلى الله تعالى .

قال : وإذا وقع [١٣] يديه ستوق كسره(٢) ورمى به فى الأرض لئلا يغر به مسلم ، والستوق الدرهم المغشوش . امتلأ قلبه بالإيمان بالله ، وفاض على لسانه دعوة مخلصة إلى دين الله ، وعلى جوارحه عملا صالحا مما يرضى الله .

قالت هند بنت المهلب(٣) . كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إلى إلى أمى وكان لايعلم شيئا يقربنى إلى الله إلا أمرنى به ، ولاشيئا يباعدنى عنه إلا نهانى عنه ، وكان ليأمرنى أين أضع الخمار .

قلت : فى هذا غاية التواضع ومنتهى القيام بالواجب فى الإسلام . وكما رأى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وتواضعها لجابر فى حال أخذ العلم عنها ، كذلك تواضع لبنت المهلب فى تعليمه إياها حتى حيث تضع خمارها .

---

(١) المكس : انتقاص الثمن فى البياعة (المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٢١)

(٢) راجع : الأب أنستاس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ص ٥٠ ، ١٤٧

(٣) هند بنت المهلب بن أبى صفرة . حدثت عن أبيها وعن الحسن البصرى وعن جابر ابن زيد . انظر : عمر رضا كحالة : أعلام النساء ج ٣ ص ١٦٢٧ — ١٦٢٩ والمصادر التى نقل عنها .

قال : ولو التمست مثل هذه الشهادات عن علم جابر وأخلاقه ، أو دينه ، أو ذكائه وعبقريته لكثرت هذه الشهادات وأخذت منا وقتا ومكاناً .

وحسبك أن تعلم أنه رحمه الله أعلم من أن يبقى من كتاب الله وسنة رسوله وهدى محمد ، حتى فى سلوكه الخاص ، شىء لا يعرفه ، وأنه أذكى من أن تنطلى عليه زخرفة بدعة ظاهرة أو خافية ، وأخشى لله من أن يرى منكرا ، ويسكت عنه ، وأشجع من أن يؤيد عمل الظالمين ويرضى عن سلوك الطاغين ، وأحرص على أداء رسالة الإسلام من أن يكل عن التعليم فى كل مكان .

رأى جابر بن زيد أحد الحجبة يصلى فوق [١٤] الكعبة فنادى بأعلى صوته قائلا : يا من يصلى فوق الكعبة لا قبلة له ! وكان ابن عباس ، فى ناحية من المسجد ، فسمعه فقال : إن كان جابر بن زيد فى شىء من البلد فهذا صوته ، أو قال : إن كان جابر بن زيد فى البلد فهذا القول منه . والأستاذ العبقرى يعرف مَن من تلاميذه يمتاز بصحة الفهم ، ولمحة العبقرية ، ودقة الملاحظة ، والاهتمام بأمر المسلمين ، والعمل على إرشادهم وتوجيههم إلى الطريق الأقوم .

وبعد هذا كله فإن جابرا يعتبر من أول المؤلفين فى الإسلام إذا لم يكن أولهم على الإطلاق .

قلت : وكيف لا يكون أولهم ؟! وقد ثبت أنه لم يكن من الصحابة أحد اشتغل بالتأليف لأحوال هناك عديدة . ولم يأت بعد الصحابة جيل إلا التابعين . وكان جابر بن زيد رحمه الله ورضى عنه فى صدر التابعين كما يشهد بذلك تاريخ نشأته ووجوده رحمه الله .

قال : وكان لكتابه الضخم القيم المسمى « ديوان جابر » رنة فى صدر الإسلام . وكان موضع تنافس فى دور الكتب الإسلامية عليه . واستطاعت مكتبة بغداد أن تتحصل عليه ، وأن تبخل به على غيرها من مكاتب الإسلام ، وأن تظلم أهله حقهم فيه ، فيمتاز به عن غيرها من المسلمين . والحسد داء دفين مضر بالأمة ضرراً كبيراً لا مزيد عليه . ولم تنقل منه إلا نسخه واحدة [١٥] فقط مع عناء شديد جاهد فيها أحد عباقرة جبل نفوسة للحصول عليها .

قلت : ولم يوفق أيضاً على نشرها فذهبت . ولما أحرقت التتار مكاتب العراق واحترقت خزائنها احترق الكتاب فيها ، إذ لا طباعة إذ ذاك تنشر الكتب وتبقى خالدة رهن الدهر عند زيد أو عمرو ، وإذا ضاع الكتاب من هناك لم يضع من هنا وهكذا .

قال : كان لهذا الكتاب قيمة كبرى لما فيه من علم وهدى ، ولقربه من عصر النبوة ، ولأخذ مؤلفه عن الصحابة رضوان الله عليهم . وكانت له قيمة أخرى أثرية وهى أنه أول كتاب ضخم ألف فى الإسلام .

قال : وإنه لمن المؤسف أن يضيع هذا التراث العظيم من مكتبة بغداد عندما أحرقت تلك المكتبة العظيمة ، وضاعت منها آلاف النفائس ، كما أنه من المؤلم المر أن تضيع تلك النسخة ، التى وصلت إلى ليبيا ، فيما ضاع من التراث الإسلامى العظيم ، بسبب الجهل والحقد، وطلب الرفعة عند الناس .

وليس أعظم محنة من ضياع التراث العلمى والخلقى والدينى لأمة مسلمة لا يستقيم حاضرها إلا على القواعد المتينة التى انبنى عليها ماضيها . ولن يصلح حاضر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

قال : لقد حاولت أن أن أترجم فى هذا الفصل للإمام العظيم جابر

ابن زيد ولكنني اعترفت أني أخفقت ولم أستطع أن أصل إلى ما قدرته فى نفسى وإلى ما يتطلبه الموضوع منى .

قلت : ووقع لنا فى « العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة » [١٦] وكان جابر بن زيد عالما عظيما بين أجلة العلماء ، فكان شيخه ابن عباس رضى الله عنهما يجله ويعرف له أشياء طالما أحال إليه أمثالها ، ولولا فضيلة الصحبة لكان جابر بن زيد فى الجبهة العلمية أول من يحمل العلم الفقهى بين نبغاء الأمة . ولذلك روى عنه أكثر أهل المذاهب ، ووثقهم جميعهم واعتمدوا على نقله ، وعولوا على ثقته وأمانته . فكان جابر إذا أشكل عليه شيء من أمر الدين رجع إلى أساتذته الأجلاء وأخصهم العبادلة الثلاثة (١) ، فبينوا له المنفـــذ ، وأوضحوا له الحق من مصدره الصحيح ، فلا يبقى لديه ريب أو شك . فإذا تلقى أبو الشعثاء عن أولئك الأعلام مما يتعلق بأحكام الشريعة ولم يظهر له فهم أسراره وروح معناه عرضه على ترجمان القرآن ابن عباس ، وعلى الحميراء أم المؤمنين التى قال فيها رسول الله [صلى الله](٢) عليه وسلم : خذوا عنها نصف دينكم أو قال شطر دينكم(٣). وإلا جاء إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) العبادلة الثلاثة هم: عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص .

(٢) حذف سهوا فى المخطوطة « صلى الله » (ص ١٦ فى المخطوطة)

(٣) « خذوا شطر دينكم من الحميراء » أى عائشة رضى الله عنها . كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول لها أحيانا ياحميراء تصغيرا لحمراء ، يريد البيضاء .

النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) ج ١ ص ٤٣٨. مطبعة عيسى الحلبى.

وعبد الله بن عمر بن الخطاب أو عبد الله بن عمرو بن العاص ، أو غيرهم رضى الله عنهم .

ويشهد لهذا روايته فى المسند عنهم رحمهم الله ورضى عنهم ممن أوتى الحكمة وفصل الخطاب ، وأجازه عليه الصلاة والسلام لإرشاد الأمة وتعليمها . ولم يخرج به إلا وهو واضح نير ، وكيف لا ؟ وقد تلقاه من مصدره الصحيح ومظهره [١٧] الرجيح ؟

وجابر بن زيد من الذين أشار إليهم عز وجل فى كتابه (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)(١) الآية .

وقال العلامة عز الدين التنوخى فى مقدمة فتاوى الإمام الخليلى رحمهما الله تعالى : جابر بن زيد تلميذ ابن عباس الذى كان يقول فيه لمن يأتيه من أهل البصرة مستفتياً : تسألونى وفيكم جابر بن زيد ؟ أى استغرب ابن عباس رضى الله عنهما استفتاء أهل البصرة لابن عباس مع كون جابر بن زيد فيها ، أى يكفيكم علمه ، ويسعكم فقهه .

قال : وروى عمرو بن دينار عن عطا عن ابن عباس : لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر لأوسعهم علماً من كتاب الله .

وهذه شهادة عظيمة لجابر بن زيد .

قال العلامة عز الدين وفى تاريخ البخارى عن جابر بن زيد قال : لقينى ابن عمر فقال : جابر بن زيد من فقهاء البصرة . وقال ابن حبان فى الثقاة : كان فيها وكان من أعلم الناس بكتاب الله .

---

(١) قال تعالى : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا. ربنا إنك رءوف رحيم) سورة الحشر. آية ١٠

قال : وفى كتاب الزهد لأحمد بن حنبل (١) : لما مات جابر بن زيد قال قتادة : دلونى على قبره ، ولما وقف عليه قال ، اليوم مات عالم العراق هذا .

قال : ومذهب الأباضية مبنى على مسند الربيع بن حبيب (٢) وأحاديثه مروية عن أبى عبيدة عن جابر بن زيد عن الصحابة ، إلى أن قال : وفى « تاريخ الخميس » ، بل الصحيح فى « تاريخ ابن أبى خيثمة » : كان الحسن البصرى |١٨| إذا غزا أفتى الناس جابر بن زيد ، أى إذا خرج للغزو [أسندت] (٣) الفتوى إلى أبى الشعثاء رضى الله عنه .

قال : وقال إياس بن معاوية : أدركت الناس وما لهم مفت غير جابر ابن زيد ... إلى أن قال عز الدين رحمه الله : وكان العمانيون أحرى أن ينتسبوا فى مذهبهم إلى جابر بن زيد إلخ ...

قال : وفى حفظى ، أى حفظ عز الدين ، أنه يصدر — أى عبد الله بن أباض — فى أمره عن جابر بن زيد . قلت : نعم المصدر أبو الشعثاء ونعم الصادر عبد الله بن أباض. فظهر بذلك أن ابن أباض كان مرجعه فى مهماته الدينية والدنيوية الإمام جابر بن زيد رحمهما الله . فجابر بن زيد هو الإمام

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل : كتاب الزهد . (مطبعة أم القرى ١٣٥٧ هـ)

(٢) الربيع بن حبيب : توفى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى وله « الجامع الصحيح » (القدس ١٣٨١ هـ) . والجامع الصحيح مسند فى الحديث رتبه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلانى ، والورجلانى من القرن ٦ هـ وله كتاب الدليل والبرهان . طبعة حجرية — المطبعة البارونية — القاهرة — ٣ أجزاء .

(٣) فى المخطوطة (وأسندت)

المعتمد لعبد الله بن أباض ، وكان المورد صافيا ، إذ كان حياضه مملوءة ومصونة وقريبة عهد بالفيض السماوى فلم تتكدر الحياض بعد ، ولم يخالطها بعد كدر ، ولا ولغ فيها من يكدر صفوها ،لأن ميازيب الفيض النبوى أولئك الأجلاء الأتقياء الميامين أعمدة الحق التى لاتتزعزع ، وعليها تركز المذهب الأباضى ، وبنى صروحه المتينة العالية . فعبد الله بن أباض تابعى ، وأبو الشعثاء كذلك ، ومابعد الصحابة فقد وقع فيه الاختلاط . فجابر بن زيد فرع من تلك الجداول الصافية فى [معينها] (١) ، العذبة فى وردها ، الصحيحة فى مأخذها .

—وقال عز الدين فى « مقدمة أجوبة الشيخ العلامة عيسى بن صالح » : وقد كان الإمام جابر بن زيد من أكبر تلاميذ |١٩| عبد الله بن عباس حبر الأمة . وأخذ عن أجلة الصحابة ومنهم سبعون بدريا . وقد سأل أحد البصريين ابن عباس عن شيء فقال له : تسألونى وفيكم جابر بن زيد !

قال . وفى حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عطاء أن ابن عباس قال : لوأن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عن كتاب الله عز وجل .

قال : وجاء فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى (٢) عن أبى خيثمة قال : سمعت يحيى بن معين يقول : أبو الشعثاء جابر بن زيد روى

---

(١) فى المخطوطة (مغينها)

(٢) أبو حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن إدريس بن التميمى الرازى) : الجرح والتعديل — حيدر أباد — مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١ هـ

عن قتادة إنه بصرى ثقة . وقد أجمعوا على إمامة يحي بن معين ، أى أن يحيي بن معين عندهم عمدة فيمن يعدله ، وأنه أثنى على جابر بن زيد بأنه ثقة ، أى حجة فى الدين ، فما أثبته فهو ثابت وما نفاه فهو منتف . إذ نقلوا عن أحمد بن حنبل السماع من يحيي بن معين شفاء لما فى الصدور إلى آخر ماحكى عنه .قال عز الدين : والذى يظهر صدق الصادقين كأبى الشعثاء الإمام جابر بن زيد إمام الأباضيين. وفى السير للشماخى رحمه الله : دخل ثابت البنانى على جابر حين احتضر فقال : هل تشتهى شيئا ؟ قال : إنى لأشتهى أن ألقى الحسن البصرى قبل أن أموت . فخرج ثابت فأعلمه بقول جابر ، وكان مستخفيا من الحجاج ، فركب بغل ثابت على السرج وركب خلفه ثابت بطيلسانه . فلما دخل على أبى الشعثاء وهو مضطجع انكب الحسن عليه وهو [٢٠] يقول : قل لا إله إلاالله. فرفع جابر عينيه وهو يقول : أعوذ بالله من غدو ورواح إلى النار . فقال: له قل لاإله إلا الله . فقال : أعوذ بالله من غدو ورواح إلى النار . ثم قال : يا أبا سعيد (يوم يأتى بعضُ آياتِ ربك لاينفعُ نفسا إيمانُها لم تكن آمنَتْ من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا)(١). فقال الحسن : هذا والله الفقيه العالم . ثم قال : يا أبا سعيد أخبرنى عن حديث ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المؤمن إذا حضرته الوفاة فقال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمن إذا حضرته الوفاة وجد على كبده بردا » . فقال جابر : الله !! اللهم إنى أجد بردا على كبدى ! ثم قبض رحمة الله عليه .

---

(١) سورة الأنعام . آية ١٥٨

قال : مرّ رجلان من المسلمين وأبو الشعثاء قاعد فى شقيقة باب داره ولم يرياه ، فلعنا رجلا . قال : لعن الله من لعنتما !! فقالا : ماعلمنا بمكانك ! وكيف تلعن رجلا لم يثبت عندك أمره . قال : وأى تثبيت أثبت منكما وقد اجتمعتما على لعنه ، أى جعلهما حجة فى لعنه حيث هما فى الولاية ، والوليان إذا شهدا بالبراءة من أحد فهما حجة مقبولة .

قال : وخرجت آمنة زوجة جابر رحمهما الله إلى الحج ولم يخرج تلك السنة جابر رحمه الله . قال فلما رجعت سألها جابر عن كريها(١) ، فذكرت سوء الصحبة وأثنت ثناء قبيحا ، فخرج جابر إليه ، أى إلى ذلك الرجل المصاحب لزوجته ، قال : وأدخله داراً واشترى لإبله علفا ، وعالج له طعاما ، واشترى له ثوبين كساه بهما إلى آخره فى السير (٢) .

---

(١) كريها : الذى اكترى جمله ليوصلها .

(٢) هذه القصة تدل على دماثة خلق جابر بن زيد وكرم نفسه . . . أما بقية القصة فلا بد أن نذكرها وإلا أساء الناس فهم هذ التصرف . . . إذ يروى أن جابر بن زيد دفع أيضا للرجل ما كان مع آمنة من قربة وأدوات وغير ذلك . فقالت له آمنة : أخبرتك بسوء الصحبة ففعلت ما أرى . فكانت إجابة زوجها جابر بن زيد :

« أفنكافئه بمثل فعله فنكون مثله . لا . بل نكافئه بالإساءة إحسانا وبالسوء خيراً . .

انظر : محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٣ ص ١٤٦

٢١ « الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة » .

من أتباع الإمام جابر بن زيد رحمه الله أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمى بالولاء المعروف بالقفاف رحمه الله ورضى عنه . وهو الحلقة الثالثة لسلسلة المذهب الأباضى . فإن الحلقة الأولى الصحابى المرضى أيا كان البحر ابن عباس ، أو غيره من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم .

والحلقة الثانية أبو الشعثاء الذى مرت عليك ترجمته .

والحلقة الثالثة الإمام أبو عبيدة مسلم رحمه الله . قال العالم البطل على يحيي معمر : أبوعبيدة مسلم ، أخذ العلم عن جابر بن زيد ، جماعات كثيرة انتشروا فى المشرق والمغرب ، وكان أعظمهم الإمام أبوعبيدة مسلم ابن أبي كريمة الذى أصبح مرجع الأباضية دون خلاف بعد جابر بن زيد ، رغم أن له زملاء لايقلون عنه عملا بواجبات الدين ولا العلم بما يقتضيه الواجب .

قال : هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مولى بنى تميم اشتهر بلقب القفاف لأنه كان يشتغل بصنع القفاف وهى حرفة حرة شريفة (١) ، استطاع أن يرزق منها هو وطلابه رزقا شريفا حلالا ، بعرق الجبين وكد اليمين ، رحمهم الله تعالى ورضى عنهم . إذ ظلموا حقوقهم من بيت مال المسلمين حين تولى الأمر أولئك الظلمة العتاة الذين صاروا أداة

---

(١) كان أبو عبيدة زنجيا أسود اللون ، أعور فقيرا وكان يقتات بعمل السعف يصنع منها قفافا فلقب بالقفاف ، ولكنه كان سيد البيض بعلمه وعقله وفقهه . راجع عن ابي عبيدة مسلم : محمد على دبوز : المغرب الكبير ج ٣ ص ١٥٠ – ١٥٣

[٢٢] شر وحجر عثرة على أهل الدين والإيمان ، ولم يكفهم حتى آذوا خيار الأمة وفضلاءها فى كل حركة وسكون . وأصبح أهل العلم مهددين فى بيوتهم ، ومظلومين فى (١) حقوقهم .

قال صاحب الموكب (٢) : تولى التدريس — أى الإمام أبو عبيدة — بعد الإمام جابر بن زيد ، فأخذ عنه العلم خلق كثير ، رغم ما ابتلى به من مضايقة الطغيان ، وتشديد الرقابة عليه ، ومنعه من نشر العلم وبث الروح المتحررة التى لاترضى بالضيم ولا تسكت عن الهوان .

قال : وقد اضطر تحت ضغط الظالمين أن يقوم بالتعليم مستترا وأن يخفى مدرسته القيمة عن أنظار الحجاج ، وأعوان الحجاج ، ذلك الطاغية الذى لم يكد يسلم من جبروته وطغيانه ، مؤمن بربه مخلص ، مع زميله وصديقه ضمام بن السائب الندبى العمانى .

قال : واستشار فى أمرهما مجوسيا ليدله على نوع من الأكل يتعذب به الآكل ولا يفضى به إلى الموت ، فأشار عليه بإطعامهما الزيت والكراث فكان ذلك طعامهما إلى أن مات الحجاج فأطلق سراحهما (٣) .

فلينظر العاقل كيف يبتلى الله المؤمنين وهم تحت رعايته وبعين عنايته ، وليتأس بهما العاقل ، وليعلم أن فضائل الآخرة لاتدرك إلا بالصبر على مُر الحياة فى هذه الدنيا . ومما يدلك على منازلهم عند الله تخليد ذكرهم على صحائف الأيام واستمرار الثناء عليهم ؛ وميل القلوب بالمحبة لهم ، وحسن

---

(١) فى المخطوطة لا يوجد حرف الجر وإنما كتبت « ومظلومين حقوقهم » وهى أيضاً صحيحة لغوياً .

(٢) يعنى : على يحيى معمر ، وكتابه « الأباضية فى موكب التاريخ » . ونلاحظ أن مؤلف المخطوطة يعتمد على هذا الكتاب اعتماداً كبيراً .

(٣) يشير هذا النص إلى أن الإمام أبا عبيدة مسلم بن أبى كريمة دخل فى سجن الحجاج هو وصديقه وزميله ضمام بن السائب الندبى العمانى .

|٢٣| الأحدوثة بعدهم ، والاعتماد على ما قالوه ، وقبول ما أثروه ، وما ذلك إلا ثمرة إخلاصهم لله عز وجل .

قال فى الموكب : وربما ضاق ضمام بهذا السجن وهذا العذاب ، فيقول له أبو عبيدة فى صبر المؤمن المخلص الواثق فى الله « على من تضيق ؟ ! » . أى أن أمر هذا الطاغية مقدر على عباد الله ابتلاءً منه عز وعلا ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من [أحيا] (١) عن بينة .

قال : خرج الإمام أبو عبيدة من سجن الحجاج فواصل رسالته فى الدعوة الى الله والتمسك بدينه والعمل بشريعته . وكان حر الفكرة ينشر المبادئ الإسلامية الصحيحة فى كرامة المسلم ، وعدم قبوله الامتهان ، ومطالبة ذوى السلطان بالاستقامة فى الدين والاستقامة فى الخلق والاستقامة فى العمل والاستقامة فى الحكم . كان يدعو ذوى السلطة بالتزام السنة ، واتباع سيرة السلف الصالح وإقامة العدل بين الناس ، وتنفيذ أحكام الله تعالى كما جاء بها كتاب الله ، وهذه الدعوة هى أكره ما يكره الظلمة المستبدون فى كل عصر وفى كل مصر .

ثم مضى فى الموكب يصف ذلك الجو المظلم ، وما لقى فيه أهل الفضل من الأذى ، وما عانوه من النصب ، وما وقع عليهم من الاضطهاد ، وكابده أبو الشعثاء ، وأبو عبيدة ، وضمام ، والحسن البصرى وآلاف الرجال غيرهم ، وما أصيبوا به من ذلك الطاغية الحجاج وأعوانه الظلمة وقادته الجبابرة إلى أن قال : |٢٤| بعد طول النجعة ، ولما كانت الرقابة الشديدة على أبى عبيدة لاتنفك عن التجسس عنه ، وكانت أوامر الظلمة تمنعه من التدريس ، فقد اتخذ مدرسته فى سرداب خفى طويل ووضع على مدخله سلاسل من الحديد فإذا سمع صلصلتها هو وطلابه علموا أن غريباً يريد الدخول عليهم فأوقفوا الدرس واشتغلوا بصنع القفاف ، فلا يشتبه الزائر لهم فى أمرهم . فإذا غادرهم

---

(١) فى المخطوطة : حى . وهى صحيحة من حى يحيى .

وأمنوا عيون الظلمة رجعوا إلى ما كانوا عليه : انتقلوا من إدارة معمل لإنتاج القفاف إلى إدارة معمل لإنتاج العقول والعزائم القوية . فانظروا فى هذه الأزمات التى ابتلى بها أولئك الفطاحل الأجلا فى ذلك العهد القريب من عهد النبوة والرسالة ، وما عانوه وهم فى السراديب لا يستطيعون مباشره أى عمل دينى فى الإسلام إلا فى غاية الاختفاء ، وأغلب أحوالهم ما زالوا يرسفون فى القيود والأغلال ، ويرتاعون من صلصلة سلسلة وضعوها على باب سردابهم . إنها لعظام أشبهت أيام فرعون اللعين !!

وصف العلامة الشماخى - رحمه الله - أبا عبيدة فقال : تعلم العلوم وعلمها ، ورتب روايات الحديث وأحكمها ، وهو الذى يشار إليه بالأصابع بين أقرانه ، ويزدحم لاستماع ما يقرع الأسماع من زواجر وعظه .قال : وقد اعترف مع ذلك بضيق الباع مع ما عليه من الاتساع .

قال : ومع ما لهذه |٢٥| الشهادة من قيمة فإن الحركة العلمية التى قام بها الإمام « لأعظم »(١) من أن تصورها كلمات فى سطور . ويكفى ما ذكره العلامة على يحيى معمر : قال الإمام السالمى رحمه الله فى مقدمة شرح مسند الربيع بن حبيب إذ يترجم لأبى عبيدة المذكور ؛ قال : أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى بالولاء . قال البدر الشماخى : « كان مولى »(٢) فيهم ، أى أن أبا عبيدة لم يكن تميميا نسبا ، وإنما كان تميمياً ولاءً . توفى فى ولاية أبى جعفر المنصور العباسى ، وذلك وفاة حاجب رضى الله عنهما .

تعلم العلوم ، وعلمها تبعاً لأمر رسول الله عليه الصلات والسلام.

---

(١) فى المخطوطة « الأعظم » ص ٢٥ .

(٢) فى أصل المخطوطة « كان ولى » ص ٢٥ .

ورتب أبو عبيدة روايات الحديث وأحكمها ، وهو الذى يشار إليه بالبنان بين أقرانه رحمه الله ورضى عنه .

قال أبو عبد الله محمد بن محبوب – وهو المراد عند الإطلاق فى الأثر المشرقى – أبو عبيدة أفقه من ضمام وأبى نوح ، وكان المقدم عليهما ، وعلى جعفر بن السماك ، ولكن كان جعفر أوضع الأدنى من أبى عبيدة ، وكان هو الحجة فى الدين ، أى أبو عبيدة هو الحجة التى يعتمد عليها فى الأمور الدينية لضبطه وصيانته .

قال : وكانوا كلهم أهل شرف وفضل ، وقيل إن أبا عبيدة أدرك من أدركه الإمام جابر رحمهما الله من الصحابة ،فروايته عن جابر رواية تابعى عن مثله . وقد روى أبو عبيدة عن الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم ، منهم جابر بن عبد الله الأنصارى ، [٢٦] وأنس بن مالك ، وأبى هريرة ، وابن عباس ، وأبى سعيد الخدرى ، وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . وهؤلاء هم أجلة علماء الصحابة رضى الله عنهم ، وروايته عنهم بعضها موجود فى مسند الربيع الذى [هو](١) الصحيح بإجماع أهل الدعوة .

أخذ أبو عبيدة العلم عمن لقيه من الصحابة وهم كثيرون ، وأكثر ما أخذ عن جابر بن زيد بحر العلم وسراج الأمة ، وأخذ عن صحار بن العباس العلامة الصحابى العمانى ، وأخذ عن جعفر ابن السماك .

قال الإمام رحمه الله ، قال أبو سفيان محبوب بن الرحيل : أكثر ما حمل أبو عبيدة عن جعفر بن السماك وعن صحار بن العباس ، وكان من أئمة المسلمين وقادتهم ، ولقد تفجرت ينابيع الحكمة من قلب أبى عبيدة ، وطلعت شموس العلم من لسانه .

---

(١) الزيادة من عندنا

قال : وحمل عنه خلق كثير لا يحصى عددهم ومن بينهم الإمام الربيع الذى سوف تأتى ترجمته قريباً إن شاء الله .

قال : وحمل العلم عنه إلى المغرب الإمام الشهيد أبو الخطاب المعافرى ، أول إمام بالمغرب بويع بالإمامة سنة ١٣٢ هـ (١) . ومنهم الإمام العادل عبد الرحمن بن رستم ، ومنهم عاصم السدرانى المشهور ، ومنهم العلامة الكبير إسماعيل بن درار الغدامسى (٢) ، ومنهم أبو داود النفزاوى القبلى . وكان أبو الخطاب المعافرى من أهل اليمن جاء إلى أبى عبيدة لطلب العلم ، فوافق [٢٧] خروج المشايخ الأربعة إلى المغرب فكان خامسهم ، فبايعوه بالإمامة فى المغرب حين تحققوا أهليته لها ، واطمأنوا به . فكانوا خمسة مقابلين الخمسة الذين حملوا العلم إلى عمان فلله ما أكرم هذا الغراس الذى غرسه أبو عبيدة ! وما أسعد الحظ فى تلك الآونة التى انتهز فرصتها رجال العلم وهداة الأمة حتى أقاموا الدين !!

وبإشارة الإمام أبى عبيدة رضوان الله عليه ، بايعوا أبا الخطاب : وبأمره أيضاً بايعوا الإمام عبد اللهبن يحيى الكندى باليمن (٣) ، فجمعت إمامته اليمن والحجاز .

وكان حملة العلم أقاموا مع أبى عبيدة خمس سنين فلما أرادوا الخروج

---

(١) بويع أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى بالإمامة فى سنة ١٤٠ هـ فى صياد بالقرب من طرابلس : انظر : أبو زكريا : السيرة . ورقة ٩ والدرجينى : طبقات الأباضية : ورقة ١٠ ، والشماخى : السير ص ١٢٥-١٢٦ .

(٢) أمر الإمام أبو عبيدة أهل المغرب بتعيين أبى الخطاب المعافرى إماماً لهم وبتعيين إسماعيل بن درار الغدامسى ليكون قاضيا لهم : انظر : أبو زكريا . السيرة : ورقة ٧ ، والدرجينى : طبقات . ورقة ٨ ، والشماخى : السير . ص ١٢٤ .

(٣) وهو المشهور بطالب الحق .

عنه إلى أوطانهم ، سأله إسماعيل بن درار الغدامسى عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام ، فقال له أبو عبيدة : أتريد أن تكون قاضيا يا ابن درار ؟! قال : أرأيت ان ابتليتُ بذلك!

وقال أبو عبيدة رحمه الله لأبي داود القبلى النفزاوى : لاتفت بما سمعت منى ولا بما لم تسمع ، فمنعه من الفتوى كليا .

وقال الإمام للبطل عبد الرحمن بن رستم : أفت بما سمعت منى ومالم تسمع ، أى بما سمعت منى ، وما سمعته من غيرى ، أو تحصلت عليه بالمطالعة فى الدروس وأقوال أهل العلم ، ذلك لأنه رأى عنده إدراكاً قويا ، ووعيا صالحا ، وذهنا حادا يميز بين [٢٨] الأمور بقوة مطبوعة .

وقال لأبى الخطاب : أفت بما سمعت منى !! حين رآه الوسط بين زميليه . هذه فراسته فيهم .

قال الإمام : وكان أبو داود بعد ذلك بمنزلة جليلة . قال : وكان الإمام عبد الوهاب مع كثرة علمه كالصبي إذا جلس بين يدى المعلم .

وكانت لأبى عبيدة رضى الله عنه كرامات ذكرها العلماء فى تاريخه ، ولا ريب أن لله من خلقه ظنائن(١) يختصهم بفضله وكرمه . وإذا لم تكن لأهل العلم والتقوى كرامات الله العزيز فلمن تكون ؟ إنهم لأهل لإكرام الله إياهم . وناهيك بكرامة مريم ابنة عمران رضى الله عنها ، (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله)(٢) الآية .

---

(١) الظن هنا معناها : علم الشيء والتيقن منه .

(٢) سورة آل عمران . آية ٣٧ .

[٢٩] « الإمام الربيع بن حبيب » :

ابن عمر الأزدى الفراهيدى العمانى البصرى الفقيه المشهور . كان طود المذهب الأشم وبحر العلم الخضم . كان من أهل الباطنة من عمان من غضفان . خرج إلى البصرة لطلب العلم من رجالها الأجلاء وأصحابها العلماء، إذ كانت البصرة إذ ذاك عمانية بأولئك الرجال الفطاحل . فإن أهل عمان استوطنوا البصرة من أول تخطيطها، فإن الركب الذين خرجوا مع عمرو بن العاص رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (نزلوا بالبصرة)(١) وزادوا لما صارت البصرة بصرة المهلب وهو عمانى أزدى .

قال الإمام فى ترجمة الربيع : صحب أبا عبيدة فنال وأفلح وتصدر بعده على الأفاضل فأنجح . نزل البصرة فتعلم وعلم ، ثم انتقل إلى عمان وسكن غضفان من أرض الباطنة . وقال أبو عبد الله : الربيع من فراهيد من غضفان ، قال : وهذا يدل أن الربيع من عمان .

قلت : إن الرجل كان من أصله فى غضفان فرجع إلى بلاده ولم يختر بها بديلا فهى وطنه . قال أبو عبد الله وهو الإمام محمد بن محبوب : وهذا يدل أن أصله من غضفان ، وكونه فى البصرة مشهور ، فكأنه انتقل إليها لأخذ العلم ، ثم رجع بعد ذلك إلى بلاده بعدما ذهب أكثر عمره هناك طالبا ومطلوبا .

وقال أبو عبد الله أيضا : أدرك الربيع بن حبيب جابر بن زيد [٣٠] وهو

---

(١) حتى يستقيم المعنى أضفنا الجملة التى بين قوسين . والمعروف أن أهل عمان كانوا أول من نزل البصرة بعد تمصيرها فى عهد عمر بن الخطاب .

وقد شبه العلم بطائر باض بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار إلى عمان (انظر : السالمى . تحفه الأعيان ج ١ ص ٦٦).

شاب ، أى أن الربيع كان شابا عند التقائه بجابر بن زيد رحمهم الله ، وحمل عنه العلم . ولعله أكثر ما حمل الربيع عن ضمام بن السائب الأزدى عن جابر بن زيد ، فإن أحد حملة العلم عن جابر قال : وكان الربيع يقول : أخذت الفقه من ثلاثة : أبى عبيدة ، وأبى نوح ، وضمام بن السائب.

وقال أناس من أهل البصرة : انظروا لنا رجلا قريب الإسناد ، ورعاً ، حتى نكتب عنه ونترك ما سواه ، وهذا هو نظر الأخصاء من الأصحاب .

قال : فنظروا ولم يجدوا غير الربيع بن حبيب لأنه يروى عن أبى عبيدة عن جابر بن زيد ، أو عن ضمام عن جابر بن زيد عن الصحابى ، وأكثرهم رواية عنه ابن عباس رضى الله عنه . وأخذ على ذلك عهدا حتى خاف أن يشيع ذلك فأغلق عليه بابه إلا من أتاه من إخوانه :

وكان الخوف من أمراء بنى أمية كالحجاج وأمثاله الذين طالما اضطهدوا أهل العلم . وقد اعتنى بتدوين رواياته عن ضمام الشيخ أبو صفرة عبد الملك ابن صفرة الأزدى العمانى رحمه الله .

قال : وحمل عن الربيع من أهل عمان العلم من البصرة ونقلوه إلى عمان المشايخ الخمسة الذين سوف يأتى ذكرهم فانتشر بهم فى عمان ، وأشرق فجر الإسلام من مطالعهم . وعادت لعمان حياة علمية غبطهم عليها مجاوروهم حتى أصبحت عمان مناخ العلم حيث [٣١] شبهوا العلم بطائر طار من المدينة وفرخ بالبصرة وطار إلى عمان فكانت مقره ذلك . وحملة العلم إلى عمان أولهم أبو المنذر بشير بن المنذر النزوانى من أهل عقر نزوى . وسنفرد تراجمهم بحسب الإمكان فنقول .

« أولهم أبو المنذر بشير بن المنذر النزوانى » العقرى من أهل عقرنزوى .

وكان يسمى الشيح الكبير ، وهو المراد عند الإطلاق فى الأثر المشرقى « بالشيخ » . وكان من بنى نافع من خصوص ذرية سامة بن لؤى بن غالب القرشى . ووجود ذرارى سامة بن لؤى بعمان غير خاف . وقد ذكرنا ذلك فى « الإسعاف » وفى « العنوان » ، وإليه ينتسب بنو زياد الموجودون بعمان . وكان مقام بشير بعمان مقام مرموق تخضع له الرؤوس ، وتتضاءل بين يديه النفوس حتى شاع عليه لفظ « الشيخ » دون غيره ؛ وأردف بعد ذلك بالكبير فقيل « الشيخ الكبير » .

وقد ملأ الأثر العمانى بفتاويه ، ورضى الناس بأقواله ، وكان يروى العلم عن الربيع عن أشياخه أبى عبيدة ، وجابر بن زيد ، وأبى نوح ، وضمام بن السائب ، وهؤلاء الخمسة أشبه بالجوارى الكنس(١) فى السماء حيث العهد جديد ، والرائد يحمل علم الصدق .

---

(١) الجوارى الكنس من التنزيل (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) . قال الزجاج : الكنس النجوم تطلع جارية وكنوسها أن تغيب من مغاربها التى تغيب فيها . وقيل فى الخنس والكنس : هى النجوم الخمسة تخنس فى مجراها وترجع وتكنس وتستتر كما تكنس الظباء فى المغاور . والنجوم الخمسة : بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى (لسان العرب) .

[٣٢] منير بن النير الجعلاني :

أحد حملة العلم من البصرة إلى عمان هذا الشيخ المعروف بالجعلاني ، وهو منير بن النير بصيغة التصغير لأبيه بن عبد الملك بن وسار بن وهب ابن عبيد بن يحيى بن حضرمى بن ريام الريامى . وحضرمى هذا هو جد الطائفة المعروفة ببنى حضرمى فى عمان فهم بنو ريام ، بل هم أعرق فى نسب بنى ريام . جاء هذا النسب فى العوتبى ، وعليه فهو من بنى حضرمى ، وأشيع بالريامى ، لذلك فإن الشهرة لبنى ريام بذلك على الصحيح .

قال الإمام السالمى رحمه الله : ومنير بن النير الجعلانى ، وهو رجل من بنى ريام ، علامة جليل ، فهامة نبيل ، أحد زعماء العلم فى الرعيل الأول من ركب العلم .

قال الإمام فى الجزء الأول من « تحفة الأعيان فى تاريخ عمان » وهو يذكر خروج الأهيف بن حمحام الهنائى لمحاربة محمد بن بور لقصد إخراجه من عمان بعد ما انتصر على أهل عمان بأهل عمان حين جاء به بنو سامة ، قال : خرج الأهيف بعسكر ضخم وخميس جرار(١) يريد محمد بن بور ، وخرج فيهم منير بن النير بمن تبعه من أهل جعلان .

قال : وكان يومئذ ابن مائة وعشر سنين ، فبلغ محمد بن بور خروجهم فدخل الرعب فى قلبه فخرج هارباً فأتبعه الأهيف بعساكره . وكان الرأى أن لا يلحقوه بل يسيروا خلفه رويدا [٣٣] رويدا حتى يخرج من عمان فيرجعوا عنه لكن لله إرادة ليقضى أمراً كان مفعولا ، فساروا مسرعين حتى لحقوه من الباطنة إلى أن قال : آخر القضية قتل الأهيف وقتل منير بن النير الجعلانى ، وهو أحد حماة العلم وهو من بنى ريام رضى الله عنه . ثم ذكر تاريخ الوقعة لست وعشرين خلت من ربيع الآخر

---

(١) خميس جرار : الخميس : الجيش وقيل الجيش الجرار . وقيل الجيش الخشن . وسمى بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة . وقيل سمى خميساً لأنه تخمس فيه الغنائم (لسان العرب) .

سنة ٢٨٠ هـ(١) . وكان عاش عمراً طويلا ، أى كان من المعمرين فإنه نشأ فى القرن الثانى حتى مات فى هذا التاريخ قتيلا . وفى بعض الكتب عاش عمرا طويلا وأنهم أخرجوه معهم للأخذ برأيه فقط إذ لا ينتفع بشىء منه سوى ذلك .

كان من المجربين حيث عاش تلك المدة المشحونة بالقضايا والحوادث فإنه كان من تلامذة الربيع بن حبيب رضى الله عنهم ، وجاء عمان مع إخوانه . وبذلك يكون عاش — وذكره الإمام — فى عهد الجلندى بن مسعود رحمه الله ، وأنه من جملة رجال دولة الجلندى بن مسعود هو وموسى بن أبى جابر الأزكانى ، وبشير بن المنذر النزوانى ، وخلف بن زياد البحرانى ، وشبيب بن عطية العمانى .

قال : وكان هؤلاء بعضهم أكبر من بعض ، واقتدى بعضهم ببعض إلخ ... ووصف منير بن النير سيرة الإمام الجلندى للإمام غسان بن عبد الله ، فيكون الشيخ المذكور عاصر الإمام الجلندى بن مسعود ، وهو |٣٤| قد نصب سنة ١٣٢ . ومرت تلك الحوادث المهولة وهى قتل الإمام المذكور ورجال دولته ، ثم قتل شيبان الخارجى ، وحرب خازم بن خزيمة ، وعهد الجبابرة الذين تولوا عمان بعده ، ودولة محمد بن أبى عفان وما صار فيها ، وعهد الإمام الوارث ، ودخول عيسى بن جعفر بن المنصور العباسى عمان . وعاصر الإمام غسان ، كما وصف له سيرة الجلندى ، وعاصر الإمام عبد الملك بن حميد ، وشاهد عهد المهنا بن جيفر . والصلت بن مالك وراشد بن النظر ، وما وقع فى الظروف المشار إليها . وكأنه لم يتعرض فى تلك الأيام كلها لأمر ، ولم يذكر عنه أخذ أو رد أو اعتراض أو انتقاد ، وكأنه كف نفسه عن الدخول فى أمور الناس بعمان حتى هذا العهد ، فإنه رأى هنا من الواجب الخروج لطرد ذلك الظالم الطاغية ولينال عند الله عز وجل الشهادة ، والحمد لله الذى وفق من ارتضى للحق بإذنه .

ومنير من أجلة العلماء الذين جعلهم الله حجته على عباده ، وهو الذى قام بالبيعة للإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصى .

---

(١) انظر فى حروب محمد بن بور لعمان زمن الخليفة العباسى المعتضد : السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٠٦ — ٢٠٩ .

[٣٦] « موسى بن أبي جابر الأزكوى »

أحد حملة العلم الذين عرفوا فى القطر العمانى بأعمالهم الزكية ، وتداول العلماء بعدهم أقوالهم فدونوها ، وأعمالهم فاتبعوها .

قال الإمام : موسى بن أبي جابر الأزكوى وهو رجل من بنى ضبة من بنى سامة بن لوئ بن غالب . قلت : المعروف ضبة بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؛ وضبة الثانية من ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، ولا أدرى من أى الضبتين هو ، وعلى كل حال كلاهما من نزار . وبنو سامة بن لوئ بن غالب معروفون فى أزكي ، ومنهم الأمراء الساميون الذين جروا محمد بن نور على عمان حال افتراق أهل عمان إلى قحطانية وعدنانية ، والأمر لله عز وجل . وفيهم خرج المثل : لا تكون فتنة فى عمان إلا وأصلها من جرنان .

قال الأمام : وهو — أى موسى بن أبي جابر — الذى عقد الإمامة للوارث بن كعب ، إذ كان الحجة فى الأمة ومن يعول عليه فى المهام الدينية . قال : وهو جد موسى بن على لأمه ، وكان هذا الشيخ من أقوى دعائم الحق فى عمان ، ومن الذين لهم فى الدين العلم المرفوع . وعند اختلاف الظروف تتجلى حقائق الرجال . فإن الدهر [٣٧] محك لهم تظهر به جواهرهم . وموسى بن أبي جابر لا يزال له فى الأثر العمانى الصوت العالى ، ولا يزال مقدما على أبناء جنسه ، ولا زالت علاميته موقرة وآراؤه مقدمة ومعتبرة . ولقد لاقى من نصب عمان ما لاقى زملاؤه حيث هو كان من أركان الأئمة الذين سبق ذكرهم لأنه أحد علماء الصدر الأول ، وأحد تلامذة الربيع ، وأحد أجنحة الطائر العلمى إلى عمان .

كما وسار فى أيامه مسير زملائه الميامين حتى توفاه الله عز وجل فى سنة ١٨١ هـ قبل الإمام منير بن النير الجعلانى كما عرفت .

ولم يزل الأثر العمانى يندبه ، والعالم العمانى يرثى له إذ كان أحد الشهب الخمسة التى أضاءت القطر العمانى بنور العلم ، ولكن لا بقاء فى هذه الدنيا إلا لله الواحد القهار :

وكان موسى بن أبي جابر من جملة من حضر بيعة الوارث ، بل كان هو بانى أركانها ، وواضع حجر ميدانها ، فإنه جىء به وهو شيخ كبير مشلود على حاجبيه بعمامة ، أى سقط حاجباه على عينيه .

قال الوارث لموسى : مَنْ إمامنا ؟ أى إذا كنتم عازمين على عزل محمد بن أبى عفان . فقال موسى : أنا إمامكم . فلما وصل وارث إلى نزوى ، أخذ موسى بيده فقدمه إماماً للناس . قال : فما علمنا أن أحداً من الناس عاب على موسى ذلك ولا على وارث . قلت : كيف يُعاب الحق إذا وضع فى أهله ؟

وكان موسى فى أيامه [٣٨] مرجع العلماء وهو فى ذلك السن المذكور والحمد لله إن الله أعلم حيث يضع رسالته .

٤٠ « محبوب بن الرحيل » :

الإمام محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة المخزومي القرشي المعروف بكنيته الشائعة بأبي سفيان جد السادة الأجلا الذين تسلسلوا منه ، فكان يضرب بسلسلتهم المثل . كان محبوب بن الرحيل علامة من فحول الرجال الذين يشار إليهم من بعيد . انتقل إلى عمان آخر زمانه حاملا علما جما ، وهدى واسعاً . جاء هو والربيع بن حبيب ، وعمان إذ ذاك فى غاية الابتهاج بهم . ونزل ومحبوب صحار ، ولا تسأل عن صحار ذلك العهد شرفاً وعزاً وعلا ومجداً ، فكانت إذ ذاك تزخر بالعلم وتفخر بالهدى .

وقد أخذ كل واحد من هؤلاء العباهل الكرام مأخذاً من عمان ، فكان موسى بن أبي جابر بنزوى قلب عمان ، ومنير بن النير بجعلان فى شرق عمان ، وكان ابن الرحيل بصحار فى شمال عمان ، وكان الربيع بن حبيب بغضفان بحبوحة الباطنة من عمان .

٤٢ « محمد بن المعلى الكندى » :

كان محمد بن المعلى المذكور من أهل فشح من قلب عمان . وكان من الرجال المعدودين فى طليعة الرجال ، وحسبه كونه أحد حملة العلم إلى عمان .

وأرادوا أن ينصبوه إماماً فخاف على نفسه من قطع الشرى(١) أن لا يكون له سلطان فيقع فى القصور أو التقصير ، ومن هناك اختفى ذكره بين أترابه من حملة العلم .

وكان فقيهاً واسع الاطلاع ، ولكن كما هى عادة العمانيين ، عدم اهتمامهم بتراجم أهل العلم كما ينبغى . فإن العلماء هم سلاسل الدين ،

(١) قطع الشرى : تقدم فقاتل عن القوم أو تقدم إلى السلطان فتكلم عنهم .

وأعمدة الحق ، وأركان الشريعة بغير نكران ، فيؤخذ من سياساتهم وأعمالهم، كما يؤخذ من علمهم ، فإنهم الهداة إلى الحق والدعاة إلى الله عز وجل ، وإن كان لكل أحد من الناس هواية ، كما أشار إلى ذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث يقول : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » وحسبهم بذلك شرفا .

ومجمل القول أن محمد بن المعلى، ما زال أحد حملة العلم لا ينكر فضله ، ولا يجهل قدره ، ولكن من لنا أن نعلم متى مات ؟ وماذا فعل ؟ وإلى أين انتهى أمره ؟ والذى علمناه عنه أنه كان أول من حكم بقتال راشد بن النضر ،ولقوه بالمجازة من أعمال الظاهرة فهزموه شر هزيمة .وعندما اجتمعوا للنظر فى قضية ابن أبى عفان،وكان كل واحد يرى أنه الأولى ، فكان من سياسة الشيخ موسى بن أبى جابر تفريق [٤٣] المجتمع بشىء ظاهرة مقنع فى الحال . فقال لمحمد بن المعلى : قد وليناك صحار وما يليها ، وكما لا يخفى أن ولاية صحار من أكبر ولايات عمان ، وولينا محمد بن أبى عفان القريات وبقية الجوف فرضى كل موضعه .

وانتقد بعضهم على هذا الشيخ صنيعه هذا ، وهو بشير بن المنذر . وأجابه : إنما كان نظرى للدولة يا أبا الحكم ، لأنهم قد اجتمعوا وكل يطلب الأمر لنفسه ، والأمر بعده ضعيف ، ففرقناهم عن وجوهنا حتى يقوى الأمر .

وقيل إن موسى بن أبى جابر رحمه الله أراد محمد بن المعلى للإمامة فكره محمد بن المعلى أن يقطع الشرى ، فكره موسى أن يواليه أمر الإمامة حتى يقطع الشرى .

فيستفاد من هذا أن محمد بن المعلى كان أهلا للإمامة ، ولكن الآراء لم تتفق ، ولكل شىء سبب .

وبعد ذلك لم تتحقق أخبار محمد بن المعلى ، ولا أين صار مقامه ، ولا متى مات ، ولا فى أى بلد كان مقامه .

٤٤ « الإمام عبد الله بن أباض » :

لا يخفى لما كان الكلام موضوعاً خاصاً بأبى الشعثاء وأتباعه ، وكان عبد الله بن أباض من أتباع أبى الشعثاء لزم ذكره بعد ذكر حملة العلم إلى عمان .

إن عبد الله بن أباض الذى نسب إليه هذا الجيل من الأباضية وصار علما على هذا الفريق من المسلمين ، لا يخفى أن عبد الله بن أباض كان رجلا عراقياً أصله من تميم الذين هم الحجر الخشن كما عرفوا بذلك فى التاريخ . واعلم أن اسم الأباضية أو الأباضيين عند أهل المذهب علَم على هذا السواد الأعظم والجيل الأكرم ، المتشرع بالشريعة الإسلامية ، الثابت على القواعد الدينية ، القائم بالواجبات الإلهية : الحافظ للحقوق الشرعية . المالئ عدة آفاق من دنيا المسلمين ، المنتشر فى العراق العربى قديماً ، الراسخ الأقدام بعمان شعبا عظيما ، القاطن من المغرب صقعاً كريماً ، الناشر أعلامه بحضرموت حتى نهاية القرن السابع للهجرة ، إماما وأميراً وزعيما . الذى له بعمان خمسة وثمانون ملكا وإماما ، وله فى المغرب وصنعا اليمن وحضرموت قريبا من ذلك « فاسم الأباضية عَلَم على هذه الأمم » فى هذه الأصقاع ، يعلمه كل أحد من المسلمين وغيرهم . وهذه التسمية جاءتنا من مخالفينا فقبلناها غير متبرمين منها .

« وإن كنا لا نتمذهب » ٤٥ مذهبا غير الحق . لكن لما قضى العرف بتخصص كل أمة باسم ، سمانا مخالفونا بهذا الاسم ، كما ذكرنا ذلك فى كتابنا « أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج » (١) . وذلك حين علم مخالفونا تأييد عبد الله بن أباض فى أقواله للملوك الأمويين.

وقد شهدنا بذلك منذ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله. وقضية وفدنا إليه معلومة ، وما قالوه من الأقوال معه مفهومة لدى أهل التاريخ (٢).

---

(١) انتهينا من تحقيق مخطوطة «أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج» للمؤلف.

(٢) المعروف فى التاريخ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ هـ) كان حريصاً

ولما رآوا منا موافقة عبد الله بن أباض فى إنكاره على من يسمونهم أمير المؤمنين أضافونا إليه وأطلقوا علينا اسم الأباضية نسبة لأبيه أباض ، لأن عبد الله كان على و تيرة أبيه ، وكان أبوه أشهر منه فلذلك سموا هذه الأمة بذلك.

فتراهم إذا ذكروا الحوادث المذهبية ، وجاء منها على منهج هذا الفريق ، قالوا ذلك للأباضية ، أو هو قول الأباضية ، أو قال بذلك الأباضية ، فشاعت تلك التسمية شيوع هذه الأمة . وهذا أمر شائع عند العرب عند من رأوه مؤيد قوما ، أو نهج منهج قوم ، أضافوه إليه خيراً كان أو شراً ، مدحاً كان أو قدحاً وهكذا ، فشاع ذلك فى العالم الإسلامى . فكانت الأباضية جمال الدين فى العالم ، وزينة الإسلام بين العوالم ، إذ أقامت الأباضية الأئمة لنصرة الدين ، وحماية الشريعة وصيانة الملة فى هذه الرقعة الوسيعة .

وكان ابن أباض رحمه الله [٤٦] فى جبهة الطليعة الحرة .

قال الشيخ الشماخى رحمه الله فى « القول المتين ردا على المخالفين » : وأما تسمية مذهبنا بالأباضية ، فلكون عبد الله بن أباض رضى الله عنه كان المجاهد علنا ، المناضل فى سبيل تحقيق الحقائق ، وتصحيح قضايا العقول فيما أحدثه أهل المقالات والبدع من الزور والافتراء فى شريعة ربنا ، وكان شديداً فى الله تعالى ، وله مناظرات مع أهل التنطس والتفلسف كانت الحجة الدامغة التى يخنس أمامها كل ثرثار .

قال : وله كلام مع عبد الملك بن مروان يهضم نفس كل جائر جبار فغلب على المسلمين أصحابه الذين يقولون بقوله « الأباضية » . قال : وتسمى المذهب باسمه على هذا المعنى وقوله لحلفاء الحق ، بالحاء المهملة جمع حليف بمعنى محالف للحق والمراد به الملازم له كملازمة الحليف لحليفه أى محالفه ، أو هو بالخاء المعجمة ؛ وخلفاء الحق جمع خليفة ، والمراد به أئمة المسلمين فهم الذين يصدق عليهم اسم خلفاء الحق لثباتهم عليه .

= على توحيد صفوف المسلمين والتزامعدل الإسلام ولم يكد يتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة حتى أرسل له الأباضية وفداً من علمائهم وهم جعفر بن السماك ، وأبو الحر على بن الحصين العنبرى ، والحتات بن الكاتب ، والحباب بن كليب ، وأبو سفيان قنبر البصرى ، وسالم بن ذكوان .

انظر : محمد على دبوز . تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ١٧٥

فالخلفاء بمعنى الأئمة ، سواء كانوا المسمين بالإمامة العظمى ،أوهو أعم من ذلك وهو المراد به على الشاهر الصحيح ، لاكل من يشمله اسم الأباضية ،فإن فى الأباضية كغيرهم من الأمم ظلمة وجبابرة ونحوهم.

قال فى « ضحى الإسلام » فى الجزء الثالث صفحة ٣٣٦ |٤٧| بعد أن ذكر الخوارج — وكان يعد الأباضية منهم تبعاً لغيره — وقال : « من أجل هذا لم يرد لنا عن الخوارج مذهب مفلسف، ولا فقه واسع منظم ، ولا نحو ذلك ، إلا ماكان من الأباضية أتباع عبدالله بن أباض الخارجى الذى مات فى عهد عبد الملك بن مروان . » (١).

قلت ، وصفه بذلك تنفيرا للناس من الحق ، ولكنه رغم أعدائه شاهر ظاهر . قال : « فإن هذه الفرقة عاشت وانتشرت فى شمال إفريقية وفى عمان وحضرموت وزنجبار واستمرت إلى يومنا هذا . فكان من الطبيعى أن يكون لهم أصول اعتقادية وتعاليم فقهية » (٢) .

وكذلك جاء فى الملل والنحل للشهرستانى قال: الأباضية أتباع عبد الله بن أباض الذىخرج فى أيام مروان بن محمد فوجه إليه عبد الله بن عطية فقاتله بتباله : وقيل إن عبد الله بن يحيى الأباضى كان رفيقاً له فى جميع أحواله وأقواله ، وقال إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة ، وموارثتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال .(٣)

قلت : لم يقل بذلك فيما علمنا أحد من الأباضية فهو تلفيق وخطأ يراد منه معنى سيء (٤)فى الأباضية .

---

(١) انظر : أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٦ (الطبعة الأولى — القاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) .

(٢) انظرأحمد أمين ، ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٦ .

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل . ص ٢٤٤ (نشر محمد بن فتح الله بدران — الطبعة الأولى — مطبعة الأزهر) .

(٤) فى المخطوطة « سينا » .

قال : وما سواه حرام وحرام سبيهم وقتلهم فى السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة .

قلت : وهذا [٤٨] هو الحق الذى جاء به الكتاب العزيز والسنة النبوية على صاحبها أكمل الصلاة وأوفى السلام .

أما غنيمة أموال أهل القبلة فحرام فى الحرب والسلم ، وإنما أجاز بعض المسلمين الاستعانة بها فى حربهم نظراً منه فقط . وبعد الحرب ؛ إذا خيف منهم التقوى بها إذا ردت إليهم ، أجازوا إتلافها حتى لايتقووا بها ، كما أجازوا هدم حصونهم وكسر قلاعهم وقطع نخيلهم وحرق مزارعهم ، حتى لاتكون قوة لهم على بغيهم . وذلك أمر غير مخفى ، وأصوله من الكتاب واضحة . وكيف يخص الأباضية باستحلال(١) السلاح والكراع (٢)؟ حاشا الأباضية ! !

قال صاحب الملل والنحل : وقالوا — أى الأباضية — دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد .

قال : وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم .

قلت : ذلك احترام للإسلام على العموم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الشهادة ممن قال : لاإله إلا الله محمد رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة واستقبل القبلة وأقام شعائر الحج .

قلت : وهذا شأن الاباضية مع أهل التوحيد .

وقال أيضا : (٣) الأباضية فى مرتكبى الكبائر موحدون (٤) لامؤمنون .

(١) فى المخطوطة « بالاستحلال »

(٢) الكراع : اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٣) فى المخطوطة أضيفت كلمة « أى » قبل الأباضية .

(٤) يشير الشهرستانى هنا إلى رأى المعتزلة فى مرتكبى الكبائر . ص ٢٤٥ .

قلت : ذاك لأن المؤمن لا يرتكب الكبائر ولا يقترف سيئات الذنوب لحديث : « لا يزنى الزانى حين يزنى [٤٩] وهو مؤمن » فينفى عنه الإيمان .

ويدل عليه قوله عزوجل : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) (١).

فظهر الفرق بين المؤمن والمسلم كما عمل بذلك الأباضية . فكل مؤمن مسلم وما كل مسلم مؤمن . قال : وحكى الكعبى عنهم أن الاستطاعة عرض من الأعراض وهى قبل الفعل بها يحصل الفعل . وقال : وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى . قلت : نعم لأن الله يقول : (خلقكم وما تعملون)(٢) أى وعملكم فى آيات وأحاديث تدل على ذلك .

فهى على كل حال مخلوقة لله عزوجل إحداثا وإبداعا ومكتسبة للعبد.

قلت : نعم لأن الله يقول فى كتابه العزيز (٣)

(لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (٤) .

قال : ولا يسمون إمامهم أمير المؤمنين . قلت: وهذا غلط وغمز !! بل يسمون إمامهم أمير المؤمنين وإمام المسلمين ، ولا مشاحة فى الاصطلاح على التسميات فإنها ألقاب ، ولعلهم يحترمون بذلك قدر أمير المؤمنين فإنه كان للخلفاء الراشدين . أو لعلهم تركوا ذلك لما سمعوا الناس يقولون بأمير المؤمنين للفسقة والظلمة من الملوك العتاة والجورة الطغاة (٥)

(١) سورة الحجرات . آية ١٤ .

(٢) قال تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) سورة الصافات . آية ٩٦ .

(٣) فى أصل المخطوطة وردت كلمة « قال » قبل الآية الكريمة . وهى زائدة لاضرورة لها . وبعد أن أورد الآية . قال « والآية فى أمثالها » .

(٤) سورة البقرة . آية ٢٨٦ .

(٥) يشير بذلك إلى بنى أمية – باستثناء الخليفة عمر بن عبد العزيز – وإلى بنى العباس .

إلى ماحكى عنهم من الخلال التى تدل على نزاهتهم ، واحترازهم من التسمى بما لايليق بهم (١) ولكل مقام مقال .

قال القطب رضى الله عنه فى رده على العقبى الجزائرى : الأباضية أصحاب عبد الله بن أباض المرى . قال : نحن أهل الحق تحقيقا لاتقريبا فقط ، ولسنا نستكمل بغيرنا ، بل غيرنا يستكمل بنا . وإن كلام الأدرعى وابن حزم (٢) وابن خلدون وابن حجر كلام خير فينا لا كلام سوء(٣).

بل جرت عادة العلماء بأن يقولوا فلان ، أو هذا الكلام ، أو هذا الاعتقاد ، أو نحو ذلك أقرب إلى الحق أو أشبه أو أمثل ، ويريدون(٤) أنه وافق الحق .

وكان عبد الله بن أباض رحمه الله بطلا باسلا صنديدا من صناديد العرب ، مقداما لا يهاب الجبابرة ولا يرهب الظلمة ولا يحابيهم ، خلاف

---

(١) يشير هنا إلى أئمة الأباضية .

(٢) فى المخطوطة « ابن حازم » .

(٣) لاحظ أن كتب الفرق المتداولة القديمة والحديثة تدخل الأباضية فى الخوارج بل تجعلهم أحياناً من غلاة الخوارج لأن أصحاب هذه الكتب لم يطلعوا على الفقه الأباضى ولا على المصادر الأباضية .

على سبيل المثال انظر : الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، والملطى الشافعى المعروف بالطرائفى : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، وعبد القاهر البغدادى : الفرق بين الفرق ، والخطيب الرازى : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، وابن حزم الأندلسى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، والشهرستانى : الملل والنحل ، والشاطبى الغرناطى : الاعتصام ، وفلهوزن : الخوارج والشيعة ، وعلى مصطفى الغرابى : تاريخ الفرق الإسلامية ، والبير نصرى نادر : أهم الفرق الإسلامية .

(٤) فى المخطوطة « ويريدوا » .

غيره من بقية العلماء الذين يحابون المفسدين ويتقون شرهم أو يعتقدون لهم من الطاعة ماليس لهم (١) .

كان عبد الله بن أباض مدافعا عن الحق ، مناضلا لأهل السوء ، معترضا للباطل عن الانتشار والإشاعة له فى بلاد المسلمين ، محاميا عن أهل الحق ، مناصراً لهم ، سيفا ماضيا لاينثنى عن رد الباطل ، ولا يقصر فى مناصرة حق حد استطاعته .

كان مدافعا عن المسلمين (٢) ، إذ كان جمهورهم فى العراق إذ ذاك كجابر بن زيد ، والربيع بن حبيب ، والخليل بن أحمد ، ومن هم من أضرابهم من أهل العلم كأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، وضمام بن السائب ، وكلهم أئمة علم ، وحملة شريعة الإسلام .

| ٥١ | كان عبد الله المذكور قامعا لأعداء الدين ، كان مؤمنا بالله تقيا صلبا فى الدين براً نقياً صالحا مصلحا . كان ذا منعة فى قومه ، وقوة من عشيرته ذا باس شديد فى الله . (ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز)(٣) لكننا لا نرجمك خوفا من رهطك، وبذلك أنت لدينا عزيز وفينا قوى .

ولا يخفى حال تميم فى العراق ، ولذلك عز الأحنف بن قيس وأكبره معاوية ، إذ كان إذا سل سيفه ، سل معه مائة ألف سيف . هذه حالة

---

(١) يبين أن عبد الله بن أباض كان لا يلجأ إلى التقية ، أى إظهار خلاف مايبطن ، وذلك أمام أصحاب الجبروت والقوة .

(٢) يعنى «بالمسلمين» هنا أتباع جابر بن زيد أو الأباضية. لاحظ أيضا أن الإمام السالمى صاحب « تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان » حين يقول الخوارج يردف هذه الكلمة بعبارة « يعنى المسلمين » .

(٣) سورة هود . آية ٩١

عبد الله بن أباض القومية وتلك حالته الشخصية القبلية(١) . وحالته الدينية شهيرة بالاستقامة بين رجال الملة وأعلام الدين ، بلغت به الزعامة المذهبية . هذا ولم يكن من العلماء الذين لهم مذاهب خاصة قلدهم فيها أتباعهم ، وركن إليهم أشياعهم ، وجعلوهم مقدمين على غيرهم من علماء الصحابة والتابعين . وقد شهد لعبد الله بن أباض كثير من رجال العلم وزعماء الإسلام بالحق ، وكان فى أيام عبد الملك بن مروان .

قال(٢) فى فجر الإسلام فى الجزء الأول صفحة ٢٦٠ : « الأباضية نسبة إلى رئيسهم عبد الله بن أباض التميمى » ولايزال أتباعه فى المغرب وغيره إلى اليوم . قال : وهم لم يغالوا فى الحكم ، أى لاغلو لديهم ولا فى دينهم ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى . إلى أن قال : وقد ظهر عبد الله ابن أباض فى النصف الثانى من القرن [٥٢] الأول للهجرة .

قال : وعاش أتباعه فى أكثر أخوالهم مسالمين للخليفة ، أى لم يشقوا عصا الطاعة ما لم يكن لهم سلطان قوى على أهل الباطل . ولا تلاعب لديهم بالأهواء ، ولا يحكمون العواطف المختصة ما لم يكن لهم قصد خالص لله ، ولا يميلون نحو كل ناعق . وكان عبد الملك ظهر فى أول النصف الثانى من القرن الأول (٣) ، وكان ملكا كبيرا له سلطة عالية ودولة قاهرة (٤) ، فكان مع ذلك عبد الله بن أباض حجر عثرة لكثير من أغراض عبد الملك المذكور . ولم يخش عبد الله بن أباض صولة عبد الملك بن مروان ، وهو السلطان المسلط والملك القاهر ، إذ كان كل مقاصد عبد الله بن أباض لله وفى الله . فكانت له بذلك شهرة أضفت عليه لباس زعامة دينية تبعه عليها

---

(١) فى المخطوطة « القبيلية » .

(٢) انظر : أحمد أمين : فجر الإسلام ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) امتد حكم عبد الملك بن مروان من ٦٥ هـ إلى سنة ٨٦ هـ .

(٤) وصفه المؤرخون بأنه « أول من تجبر من الخلفاء »

أهل الحق ، فأضيفوا إليه وعرفوا به ، فكان سورهم المنيع من جانب السلطان ، وردءهم المكين ، ورئيس القوم لزعامته القبلية .

ومن هنا تعلم أن هذه الأمة التي أصبحت مشمولة باسمه ، ومعروفة بمذهبه لم تتلمذ له ، ولم تقلده في شيء من تعاليمه ، لأن عندها الرجال تعرف بالحق لا الحق بالرجال . فلم يكن عبد الله بن أباض إمام مذهب خاص أخذ به أتباعه ، وقلدوه فيه ، بل كان هو خاصة يصدر عن أهل العلم منهم كجابر بن زيد ، وأبي عبيدة ، وإخوانهم . فلم يكن هو من الشيوخ المؤسسين للمذاهب ، ولا كانت هذه الأمة على كثرتها تقلد [٥٣] شيخا خاصاً في أقواله و أفعاله ، فتجعله المصدر لها وتعتمد عليه كمرجع خاص لها . ولو كانت كذلك لكان أبو الشعثا ، العالم المجمع على علاميته وثقته وعدالته أحق بذلك (١) . وقد شهد له كل من عاصره من أهل الصدر الأول من هذه الأمة . وناهيك بشهادة ابن عباس رضي الله عنهما كما تداول ذلك أهل العلم ماكان محتاجا لأن تخلق له الأحاديث ، أو تختلق في حقه الأكاذيب لترويج علاميته . أو تقوم سلطة قهرية تجبر الناس على أقواله ،وعلى الأخذ عنه ، بل لم تزل السلطة القاهرة ضده و ضد إخوانه . فكم عاش وإياهم في السجون الجائرة القائمة للتنكيل بهم حتى عاشوا في مغارات الأرض، يضعون سلسلة على باب الغار الذي يدرسون فيه الآثار النبوية ، فإذا جاءهم أحد من الشرط أو الجواسيس ، تتحرك تلك السلسلة فيتركون ماهم فيه ويأخذون

---

(١) المعروف أن إمام الأباضية في الفقه والفتوى والتشريع هوأبو الشعثاء جابر بن زيد . وقد سمى الأمويون الأباضية بهذا الاسم وأدخلوهم فرق الخوارج وذلك لأن الأباضية انفصلوا عن الخلافة كلما مكنتهم الظروف كما أنهم لم يرتاحوا لخلافة الأمويين .

فى عمل القفاف (١) وإذا قيل لهم : لِم (٢) وجودكم هنا ؟ أجابوا : كافين أنفسنا حتى لا نسمع أو نرى شيئا لا يليق .

وهكذا كانوا رحمهم الله وهم فى صدر الإسلام ، والأمر جديد ، والعهد به قريب . فالحمد لله الذى منّ علينا بالسلامة من كل ذلك ، وله المنة ، كما هدانا للحقّ بإذنه (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) (٣) .

فنحن على هذا من أول العهد نعرف بالأباضية معرفة تمييز . ونحن أهل [٥٤] الاستقامة وأهل الحق فى الإسلام تحقيقاً على قواعد الكتاب العزيز . وأكبر علمائنا فى الصدر الأول الإمام أبو الشعثا رحمه الله الذى لم يخل منه مؤلف من مؤلفات أهل العلم القدامى كالبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وغيرهم . وما من مؤلف لهؤلاء إلا واسم جابر بن زيد يلمع فيه . وكذلك أهل التفسير لكتاب الله عز وجل كالجصاص وغيره (٤) من قدماء المفسرين . إلا أننا كما قلنا لا نتحيّز لمذهب خاص ونترك ماسواه ، بل مذهبنا مذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومذهب ابن عباس وأبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى ، وعائشة أم المؤمنين ، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومذهب الخلفاء الراشدين .

فإن كان لهؤلاء مذهب خاص فهو مذهبنا ، وإلا فمذهبنا القرآن والسنة . حلالهما حلالنا وحرامهما حرامنا لا نبغى بهما بديلا ، ولا نهج عنهما سبيلا ،

---

(١) أشار المؤلف إلى هذه الواقعة حين تحدث عن الإمام أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة (ص ٢٤ من المخطوطة)

(٢) فى المخطوطة « لما »

(٣) سورة الأعراف . آية ٤٣

(٤) فى المخطوطة « وغيرهم » .

ولا نقلد غيرهما إذا لزم التقليد ؛ هما اللذان أوصانا نبينا عليه الصلاة والسلام باتباعهما على كل حال .

قال شيخنا ابن جميّل رحمه الله فى ميميته وهو يصف أهل المذهب رحمهم الله :

ماقلدوا ابن أباض دينهم أبدا   كما تمذهب بالتقليد أقوام

قال العلامة البرادى فى جواهره : « الأباضية إمامهم عبد الله بن أباض ونسبوا إلى أبيه لأنه أعرف من عبد الله وأشهر منه » .

|٥٥| قال الإمام — رحمه الله — فى حاشيته على العقبى :

« وتسميتنا بالأباضية للتميز لا للتشريع ، وهو اسم للمحقين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم » . أى أن اسم الأباضية علَم على أهل الحق ومذهب الأباضية لايزال عليه والحمد الله بأدلة عقلية ونقلية .

قال العلامة على يحيي معمر : نشأة المذهب الأباضى إذا أردنا أن نؤرخ للمذاهب الإسلامية بنسبتها للمسلمين المعلمين الأوائل الذين كان لهم التأثير الروحى والثقافى الأكبر على الناس ، فإن المذهب الأباضى يكون من أولها نشوءاً ، فقد كان معلمه الأكبر جابر بن زيد من كبار التابعين الذين نشروا الثقافة الإسلامية فى القرن الأول الهجرى . وقد عاش هذا الإمام العظيم مابين سنتى واحد وعشرين إلى ست وتسعين . والمعنى أنه اصطحب ذلك القرن من أوله حتى منتهاه ، فألّف وعلّم وثقف وتكلم ، وقرر الدعائم ، ووطّأ الأصول ، ومهّد القواعد ، وجمع العلوم الدينية والثقافة الإسلامية حتى قر قرارها وتمهدت أصولها وعرفها الناس ، فأخذوا منها بقبس هداها واستناروا بنور ضيائها . واعلم أن أغلب المشاكل التى اختلفت فيها الأمة نشأت فى الثلثين الأخيرين من القرن الأول .

قال : وقد حصر الشهرستانى هذه فى أربعة أصول كبار كما يقول [٥٦]
هى الصفات الإلهية ، ثم القدر ، ثم العدل ، ثم السمع والعقل ، والرسالة
والأمانة ، قال : ثم شرح المسائل التى تندرج تحت كل قسم منها . والذى
يعنينا من ذلك فى هذا الفصل أن نشير إلى ما أثير منها فى القرن الأول ،
واتخذ الأباضية فيه مذهبهم مستندين إلى البراهين القاطعة والآيات المحكمات
من كتاب الله عز وجل . فما أثير فى ذلك القرن مشاكل القدر والصفات
والوعد والوعيد (١). كما أن قضية الخلافة (٢) قد استنفدت جهداً كبيراً من
رجال العلم والحكم فى ذلك العصر .

وقد درس الأباضية، وفى مقدمتهم الإمام الأكبر جابر بن زيد — رحمه
الله — الأزدى العمانى ، هذه المشاكل كما ذكرت ، ودرسها غيرهم من
علماء الإسلام ، وانتهوا فيها إلى الرأى العام ، والمذهب الذى اقتنعوا بصحته
وصوابه مما يوافق كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام . اتخذ الأباضية
الأصل الأول لمذهبهم فيما يتعلق برؤية البارى سبحانه وتعالى لتنزيهه عز وجل
عن مشابهة الخلق استناداً إلى الآيات المحكمات من كتاب الله وما ورد من
القرآن الكريم فى ذلك أى مما يوهم التشبيه . فإنه يجب الإيمان به أنه من
عند الله . وتأويل الآيات الموهمة للتشبيه بما يقتضيه المعنى من السياق كتأويل
الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالقدرة وما إلى ذلك . قال : وفى قضية القدر
رأى الأباضية منذ ذلك الحين أن الإيمان لا يتم حتى يؤمن الإنسان بالقدر
خيره وشره أنه من الله (والله خلقكم وما تعملون) (٣) (ألا له الخلق

---

(١) هذه المشاكل خاض فيها أصحاب مذاهب القدرية والجبرية ثم المعتزلة .

(٢) كانت الخلافة سبباً فى ظهور فرق الشيعة والخوارج والمرجئة والأباضيه فضلا عن آراء كافة علماء المسلمين وعامتهم .

(٣) سورة الصافات . آية ٩٦ .

والأمر)(١) (هل من خالق [٥٧] غير الله) (٢) (الله خالق كل شيء) (٣).
وللعبد حق الاكتساب والاختيار . وهكذا استقر رأى الأباضية فى أكثر
مسائل الخلاف على الأصول المستمدة من الكتاب والسنة. فإن القرآن الكريم
والسنة النبوية هما الأصل المكين للاعتقادات(٤) مطلقا .

إلا أن الحديث النبوى الشريف لايمكن التعويل عليه لما اعتراه من
التغيير ، وما طرأ عليه من الوضع ، ودس النقل لترويج المدعيات إلا
ماشاء الله(٥) .

أما القرآن فهو باق خالد خلود الجبال صحيح لايمكن إدخال شيء
عليه مما يخالفه . نعم ما ثبت من السنة صحيحاً وقامت الحجة على صحته ،
فهو على كل حال نصير القرآن وظهيره ، وبه يفسر مشكله ومبهمه ومجمله.
وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قاعدة متينة لاتزال معروفة
عند أهل العلم ، وهى العرض للمروى عنه ، عليه الصلاة والسلام ، على
نصوص الكتاب الكريم فما وافقه فهو عنه صلى الله عليه وسلم ، وماخالفه
فليس عنه .

ومازال الصحابة وهم حملة الشريعة الغراء يرجعون إلى بعضهم
بعضاً فى طلب الحجة إذا أشكلت عليهم المشاكل ، ومازال ذلك الحال
بينهم وبقية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وهم أحياء ،

---

(١) سورة الأعراف . آية ٥٤ .
(٢) سورة فاطر . آية ٣ .
(٣) سورة الزمر . آية ٦٢ .
(٤) فى أصل المخطوطة « للاعتقاديات » .
(٥) انظر ماكتبناه عن علم الحديث والوضع فى الحديث فى: دكتورة سيدة إسماعيل كاشف: مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه : ص ١٩ — ٢٦ (الطبعة الأولى—القاهرة ١٩٦٠)

وقد رجع الإمام الأكبر جابر بن زيد إلى الصحابة في كثير من هذه المسائل ، رجع بها إلى آراء الصحابة كعبد الله بن عباس ، وعائشة أم المؤمنين ، كما وقع في مسألة رؤية الباري ليلة الإسراء حتى قالت [٥٨] عائشة رضى الله عنها : « من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية »(١) .

قال : ومن هذا الفصل يتبين للقارئ الكريم أن المذهب الأباضى اقتبس أصوله القويمة التى بنى عليها عقائده وأعماله فى خير القرون حينما كانت بقية من الصحابة رضوان الله عليهم ينشرون الثقافة بعلمهم ، أى قبل أن يكون للمذاهب الأخرى وجود على هذا الكون . وقد علم ذلك من التاريخ الصحيح الذى يعترف به الكل بلاريب .فكان الأباضية يوضحون للناس بعملهم هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وينصرون دين الله بإرشادهم ، بتوجيههم ونصيحتهم . وانه حينما كانت تحدث المشاكل وتنجم البدع فيفكر فيها العلماء الأعلام ، كان جابر بن زيد — رضى الله عنه — يدرسها دراسة المؤمن المحقق . وكان جابر بن زيد عالما عظيما بين أجلة العلماء ، فكان شيخه ابن عباس رضى الله عنهما — يجله ويعرف له أشياء طالما أحال إليه أمثالها ؛ ولولا فضيلة الصحبة لكان جابر بن زيد فى الجبهة العلمية أول من يحمل العلم الفقهى بين نبغاء الأمة .

ولذلك روى عنه أكثر أهل المذاهب ، ووثقه جميعهم ، واعتمدوا فى نقلهم على ثقته وأمانته . فكان جابر إذا أشكل عليه شىء من أمر الدين رجع الى أساتذته الأجلاء ، وأخصهم به العبادلة الثلاثة ، فبينوا له المنفذ وأوضحوا له الحق ، لاسيما البحر ، ومن قصد البحر [٥٩] استقل السواقى

---

(١) الحديث فى سنن الترمذى بنفس اللفظ .

طبعا ، وأعربوا له عن مهمته من مصدرها الصحيح فلا يبقى لديه ريب أو شك .

فإذا تلقى أبو الشعثاء شيئاً عن أولئك الأعلام ممن يتعلق بأحكام الشريعة، ولم يظهر فهم أسراره وروح معانيه ، عرضه على ترجمان القرآن ابن عباس ، أو على الحميراء أم المؤمنين التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خذوا عنها نصف دينكم » . والإلجاء إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعبد الله بن عمر ، أو غيرهم رضى الله عنهم ، ممن أوتى الحكمة وفصل الخطاب ، وأجازه عليه الصلاة والسلام لإرشاد الأمة وتعليمها ، ولم يخرج به إلا وهو صحيح واضح نيّر .

قال : وبعد استقرار آراء الأباضية بأزمنة مختلفة تطول أو تقصر ، بدأت تتكون المذاهب الأخرى وتنتشر فى بعض جهات العالم الإسلامى فتتكون المعتزلة ، ثم تكون غيرها من المذاهب التى يعتنقها أكثر المسلمين .

وبهذا الاعتبار يكون المذهب الأباضى أول المذاهب المعتدلة الصحيحة ، وأول مذهب ثبت على الأصول الثابتة ناشئاً ، وأقربها إلى عصر النبوة .

إذ أئمته كما عرفتهم(١) كبار التابعين وأكبر العلماء المتضلعين بقواعد الشريعة ، وأسبق المذاهب مأخذاً الى عصر النبوة كما عرفت وأقربها من رجال الصحابة رضوان الله عليهم ، وألصقها بخير القرون

---

(١) فى المخطوطة « كما عرفها » .

تاريخاً ، كما [٦٠] قال صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرنى الحديث » (١) وأفهمها لروح الإسلام وأسرار التشريع وهدى محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضى الله عنهم معنا(٢) .

قال : عندما كان كبار العلماء من التابعين عقدون مجالس العلم يفسرون كتاب الله ويروون للناس ماحفظوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول وعمل ، ويفتون للناس فيما يعرض لهم من مشاكل ، كانت قضية الخلافة قد أخذت حظها من النقاش واستقر فيها الناس على آراء معينة حسب أدلتهم التى يقتنعون بها وأصولهم التى يستندون إليها ، وكان جابر بن زيد رحمه الله أحد هؤلاء العلماء ، اتخذ البصرة مقرا له ينشر فيها العلم ويوالى التدريس والتأليف والإفتاء ويهتم بشئون المسلمين .

قلت : وكانت البصرة مقر العلماء الأعلام من أهل عمان ، حتى كادت أن تكون البصرة إذ ذاك عمانية محضة ، إذ ظهر فيها هذا العالم الجليل الذى أجمعت الأمة عليه عدالة وثقة ونزاهة. وكذلك الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدى الفراهيدى ، ذلك العيلم الكامل راوى المسند . وكذلك الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى من أهل ودام من الباطنة من عمان ، والمراد بالباطنة الساحل الشمالى من عمان . ثم المهلب بن أبى صفرة أمير البصرة ومنقذها من مخالب السباع [٦١] ومخرجها من بين الأنياب (٣) كما عرف ذلك التاريخ . وصحار بن العباس العبدى، من عبد القيس من عمان — وهو على الشهير صحابى مرضى علامة تقى بصرى عمانى — روى عن رسول الله صلى الله

(١) فى صحيح البخارى « خير أمتى قرنى » ، وفى كتاب « الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى » للعلامة نور الدين على بن محمد بن سلطان المشهور بالملا على القارى والمتوفى سنة ١٠١٤ هـ (تحقيق محمد الصباغ — بيروت ١٩٧١ م) « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

(٢) فى المخطوطة « معنى » .

(٣) فى المخطوطة (الأنيب) .

عليه وسلم ثلاثة أحاديث وهو من شيوخ أبي عبيدة رحمهما الله ورضى عنهما ، وهو أول من ألف فى الأدب .

وصعصعة بن صوحان الخطيب المشهور وأخوه أيضا وكلاهما عمانى ، ومرة بن البليد . والمهلب بن أبي صفرة هو الذى شاع اسمه فى البصرة ، بل فى العراق كله فيقال «بصرة المهلب» ، وهذا يعرفه كل أهل التاريخ وهو أزدى عمانى من الباطنة .

ولو لم تخرج الباطنة إلا أباحمزة الشارى المختاربن عوف قائد الإمام طالب الحق عبد الله بن يحيي الكندى فى اليمن لكفى .

ولقد غصت البصرة بالأعيان من أهل عمان ، وامتلأت برجال العلم الأجلاء الذين لهم الشرف الخالد على صفحات التاريخ . وحسبك بابن دريد مثلا للعلم والأدب واللغة فهو إمام متضلع بفنون العلم . ولن ننسى المبرد صاحب الكامل وهو عمانى .

ولسنا الآن بصدد ذكر أهل عمان وأعيانهم ، إنما ذلك إلى التاريخ العمانى وهو المسئول عن هذه القضايا وهو الكفيل بها ، وإنما نحن الآن فى ذكر الأباضية وعلمائهم .

قال « على يحيي معمر » : وكانت قضية الخلافة [٦٢] من القضايا الهامة التى يقدرها الإسلام قدرها ، وكانت شاغلة لأهل العلم . وكان جابر بن زيد ممن مرت عليه ودرسها درسا مستفيضا عميقا وانتهى فيها إلى رأى ثابت صحيح مبنى على روح العدالة فى الإسلام ومستمد من القرآن الكريم ومستند على سيرة السلف الصالح من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم . كان يرى أن الخلافة أهم مرافق الدولة وأعظم مظهر الأمة وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله وتطبيق أحكام الكتاب والسنة اللذين هما المصدر الصحيح

لأحكام الله عز وجل . وهى بهذا المظهر وعلى هذا النحو لا يمكن أن تخضع لنظام ورأى أبدا، ولا أن ترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة ما ، أو لون أيضا، لأن الخلافة المقصود منها بالذات وضع الحق فى مواضعه ، وإعادة أوامر الشريعة حيث أمر بها الشرع . وإنما يشترط فيها الكفاءة المطلقة لأن الله عز وجل أشار إلى المقصود فيها بالذات بقوله : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).(١) والمطلوب هذان الشيئان ، بل هما دعامتاها ، وهما الكرم بجميع معانيه ، والتقوى وهى الأصل الذى لا تصح بدونه خلافة ما أبدا ، فإذا لم يكن هذان الأصلان ثابتين فيها فعليها العفا ، لم تغن القرشية وحدها ، وربما أغنى عنها التقوى . ولا يخفى على كل ذى عقل أن التقوى روح [٦٣] الإيمان ، فإذا لم تكن تقوى فلا إيمان إجماعا . وإذا حصلت الكفاءة المطلقة دينا وخلقا وعملا وعقلا فقد حصلت الخصال المطلوبة فيها المشترطة لصحتها ، وقامت حجتها على المسئولين عنها الذين تلزمهم عند حصولها . فإذا كانت فى فريق من الناس فقد حصلت لأن تحمل عبء الأمة وتقوم بما يجب فى الإسلام القيام به . وما القرشية أو الهاشمية أو العربية إلا من وسائل الترجيح وهى كمالية فقط عندنا ، فإن المفاضلة أو الأولوية أشياء اختيارية عند حصول الكمال ، أما ماسوى ذلك فلا حساب له فى نظر الشارع الذى جاء لدرء المفاسد وجلب المصالح فى الأمة .

ومن حيث أنا بصدد بيان معنى الأباضية والتعريف بهم بين فرق الإسلام وذكر أصل تسميتهم أباضية ، وذكر ابن أباض الذى أضيف الأباضية إليه ونسبوا عليه نسبة تمييزية وما إلى ذلك مما هو من نوعه ،

---

(١) سورة الحجرات . آية ١٣

ثم استطردنا فى ذكر ما أشار به على يحيى معمر من أحوال الأباضية ، وما قام به إمامهم الأكبر أبو الشعثا ، وعضده أولئك العلماء الأعلام الذين كانت لهم الزمالة المذهبية ، والقصد من ذلك تحقيق معنى الأباضية ، وإيضاح المعنى الصحيح من هذه السمة الكريمة لهذه الأمة العظيمة عند الله عز وجل : فلا يظن ظان أنا خرجنا عن قانون التأليف الذى وضعناه شرحاً كاشفاً [٦٤] للحقيقة المطلوبة . وعلى هذا فالأباضية فرقة من فرق الإسلام التى عرفت فى حديث الافتراق الذى رواه أئمة الحديث . فالأباضية هم الفرقة المحقة ، وهى الصادقة فى الأقوال و الأفعال لأنها ما زايلت حكم الله عز وجل قيد شعرة ، ولا مالت بها الأهواء إلى السبل التى أشار إليها القرآن ، و بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وللإمام السالمى رحمه الله و رضى عنه :

وأصلـــه أن فتى أباض كان محامياً لنا وماضى
مدافعاً أعداءنا بالحجة وناصراً إخواننا بالشوكة

أى أن أصل المذهب عبد الله بن أباض كما عرفته مما تقدم من مقالنا ، أو يعود الضمير على الإمام ابن أباض رحمه الله، أى أن أصل كون عبد الله ابن أباض أصلا للمذهب لأنه صار له محامياً من أعدائه الذين يرومون كيده .

وكان هذا البطل التميمى مدافعاً لأعداء الحق الذين لهم نوايا سيئة ضد أهله . فكم حبس الحجاج الطاغية الكبير جابر بن زيد — رحمه الله — وكم ظل يرسف فى قيوده ، وكم عاش فى سجونه أسيراً مستهاناً على غير جرم منه ولا سيئة تزن جناح بعوضة ، بل مجرد إهانة وإذلال لأهل العلم حتى لا يرفعوا رؤوسهم بين أعلام الحق ، أو تمنيهم [٦٥] أنفسهم نصرة

مظلوم أو إغاثة ملهوف. فكان عبد الله بن أباض أكبر مناضل بالحجة الصحيحة لكنها عند ذلك الطاغية غير مقبولة إلا أنه يستطيع إهانة هؤلاء الأعلام والفطاحل الكرام . وأما عبد الله بن أباض كان فى أمة لا تضيعه وفى عشيرة لا تسلمه(١) . وما زال عبد الله بن أباض حجر عثرة للسلطان

الأموى خصوصاً فى الأمور الدينية . وهنا قام دور التطور فى الأمة والتمذهب فى الملة ليبرز معنى حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكان الإمام أبو الشعثا ، وأبو عبيدة ، وأبو عمرو ، والعلامة صحار ابن العباس : وضمام بن السائب ، ومن انضم إليهم من رجالات العلم والعمل ، وعبد الله بن أباض الركن الأكبر لهؤلاء . وعليه أطلق عليهم اسم الأباضية لكون عبد الله صار لهم بمنزلة الزعيم ، لا أنه عالمهم الذين يرجعون إليه فى مهماتهم ، ويصدرون عن فتاويه فيما يعنيهم من أمر دينهم كبقية رجال العلم الذين صاروا لأتباعهم مرجعاً ، ولإخوانهم مصدراً علمياً ، قلدوهم عليه واعتمدوا أقوالهم فيه كأبى حنيفة ، والشافعى ومالك وابن حنبل ومن فى معناهم من رجال العلم الذين اشتهروا فى أيامهم ، وارتسموا طريقاً لأقوامهم وقرروا لهم قواعد دينهم فأخذوا بها وتركوا ما سواها . إذ اعتقدوا فيهم اعتقادات لو علمها أولئك ما رضوا بها ، وأصر كل فريق منهم على قول عالمهم [٦٦] ورفضوا ما عداه ، وتنافسوا فى ذلك إلى حد بعيد حتى صاروا أضداداً لبعضهم بعضاً فى ذلك ، فكان الآخذ بقول أبى حنيفة لا يرى ما عداه ولا يرضى به بديلا مهما كان .

وبذلك صار لهؤلاء مذاهب خاصة اختصها مقلدوهم فيها ، وأصبحوا يعرفون بها كما حكى التاريخ ذلك عنهم، فكانوا بذلك أربعة مذاهب ، كل مذهب منها له أهميته وقواعده وحججه ومؤسساته فى الأمة.وتعصب

---

(١) يشير بذلك إلى عشيرة عبد الله بن أباض من بنى تميم ، الذين كانوا خير سند له .

كل فريق لشيخه وأستاذه ، فكان إذا جاء القول عن أحد هؤلاء الأربعة قام له أتباعه مؤيدين ومقدسين حتى أغلوا فيما بينهم . ومضى على ذلك عهد غير يسير حتى توسط من جاء بعد ذلك من رجال العلم الذين يحاولون الاقتراب من بعضهم بعضاً ، فأخذوا ببعض أقوال أحد الشيوخ الذى يمكن التسامح معه فى شىء ما ومضى (١) ، فقالوا هذا مذهب أبى حنيفة فى الشىء الفلانى ، وذلك مذهب فلان وفلان .

فكانت سنة الله فى عباده نافذة لا راد لها ، تصديقاً له صلى الله عليه وسلم فى ما أعرب عنه من الافتراق فى الأمة . وكان ذلك من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، إذ أخبر عن هذا الحال .

وربما نشط مذهب على بقية المذاهب ، إذا (٢) قام له سلطان يحمل الناس عليه ، وربما تأخر فى بعض الأحيان ، وربما اتفقت بعض المذاهب على قول فى شىء خاص ، فأخذ به أتباعهم [٦٧] معا وبذلك يصير له شيوع محسوس فى العالم الإسلامى .

وقد أخبر التاريخ عما قلنا فى أجيال عديدة ، وبذلك صار لكل امام مذهب . ثم جاء من أغلى (٣) فيهم فقدم ماقالوه على ما فى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ورأوا أن ما جاء عن شيخهم فوق ما جاء فى كتاب الله عز وجل ، لأن ماجاء فى كتاب الله ربما كان فيه اشكال ،

---

(١) أى ومضى الأمر كذلك.
(٢) فى المخطوطة « إذ ».
(٣) يشير بذلك إلى الفرق الغالية ، أى المتطرفة .

كإجمال وتخصيص ومتشابه أيضاً ، أما ما جاء عن الشيخ الإمام فليس فيه إشكال ولا إبهام . والجريمة فى مثل هذا على التابع لا على المتبوع ، فإن بعضهم أعلن تصريحا ، أنه إذا وافق ما أقول قواعد الحق يؤخذ ، وإلا يضرب به عرض الحائط . ويسأل أحدهم ، فيقول هذا رأى ، وإذا جاء نهر الله بطل نهرى . ومنهم من يسأل فيقول فى الأكثر : « لا أدرى » .

ومنهم من يقدم القياس على الدليل الآحادى ، يرى أن القياس ابتنى على أصل قوى ، أما الآحادى فلا تطمئن به النفس . وهكذا ، وأشياء أخرى ألمت فى المقام تخالف أصول الأحكام ، لاسيما فيما يتعلق بالحلال فى الاعتقاد ، وبالحرام فى المعاملات .

وربما أخطأ المجتهد وأصر على ما رأى ، أو اعتقد متبعه أنه الحق وما سواه باطل ، وإلى هذا كله يشير الإمام رحمه الله .

أما الذين أطلق عليهم أباضية ، فإنهم لم يقلدوا شيخا خاصاً فيتبعونه فى أقواله وأعماله ، |٦٨| فإن عبد الله بن أباض كما تحدثنا عنه أنه لم يكن من العلماء الذين أسسوا مذاهب وكانت لهم حملة أخذت بمذاهبهم .

إن هذه العصابة التى تعرف بالأباضية لم تتقيد ولن تتقيد بمذهب خاص أبدا ، وإنما تأخذ الحق أينما تجد سواء وجدته فى أقوال جابر بن زيد أو أبى عبيدة أو الربيع ، إذا لم تجد النص القرآنى أو النص النبوى الصحيح من حيث تطمئن بالنقل ولا تشك فى الناقل ، وإن وجدته فى قول أبى حنيفة أو الشافعى أو غيره من رجال العلم الذين أثبت الواقع لهم اسم العلم ، كما سوف تراه إن شاء الله محرراً فى هذه الصحائف الحرة الواضحة النيرة عند الكلام على هذا

المقام . والحق مقبول ممن جاء به بغيضا كان أو حبيباً ، والباطل مردود ممن جاء به كذلك . فإن الله لم يأمرنا أن نأخذ عن شيخ خاص ونترك ما سواه ، ولو كان كذلك لأخذنا بأقوال صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كابن عباس وابن عمر وأمثالهم ، أو بأقوال الخلفاء الأربعة فإنهم أهل لأن يؤخذ بأقوالهم . لكنا لا نقول بذلك لأنا لا نقلد غير كتاب الله عز وجل ، أو ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنقل العدول الذين لا نشك فى عدالتهم ، ولا ننكر شيئا من أقوالهم ، فنأخذ العلم تقييدا لا تقليدا لأن الله افترض ذلك علينا (١) .

وانظر (بماذا تحكم يامعاذ ؟)(٢) فقال : بما فى كتاب الله .

[٦٩] فقال : إن لم تجده . فقال : بما فى سنة رسول الله . فقال : إن لم تجده . فقال : أجتهد رأيى (٣) .

---

(١) الحق أن هذه الفقرة توضح جوهر الأباضية توضيحاً لا لبس فيه .

(٢) واضح أن المؤلف يعنى « معاذ بن جبل » وكان معاذ بن جبل أنصارياً من الخزرج ويكنى أبا عبد الرحمن . وهو أحد السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة من الأنصار ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة بين معاذ بن جبل وبين جعفر بن أبى طالب . شهد بدراً وحارب فى اليرموك . وأرسله الرسول عليه الصلاة والسلام إلى اليمن ليعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضى بينهم وجعل إليه قبض الصدقات من عمال اليمن . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يشير إلى علمه بالحلال والحرام . وتوفى معاذ بن جبل فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ (انظر الاستيعاب لابن عبد البر على هامش الإصابة لابن حجر العسقلانى ج ٣ ص ٣٣٥ — ٣٣٩) .

(٣) فى المخطوطة « رأى » .

ولم يأمره بالتقليد لدليل خاص ، أو قول خاص وهكذا نقول : فإن الكتاب والسنة هما اللذان تركهما لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده ، ولن نضل ما أخذنا بهما ، فإن لم نجد ذلك فيهما نزلنا إلى الاجتهاد ، وما خالف كتاب الله لانقبله ولانرضاه .

قال الإمام رحمه الله :

قد كان فى المنعة من عشيرته ولايطاق بأسه لسطوته
فأظهر الحق على رغم العدا والكل من أعدائه قد شهدا

مما يدلك على مقام عبد الله بن أباض فى الأمة وعلو منزلته فيها ، ما شاع له من الذكر بين رجالات العلم وأعلام الهدى صيتا أهله لأن يكون زعيم أمة لاتمت بصلة نسب ولابتتلمذ (١) علمى ، حتى صار إماما فى المغاربة النائين والمشارقة المتفرقين ، الذين انتشروا من خراسان إلى مصر إلى عمان وإلى حضرموت واليمن .

•

ذلك لأن الرجل كان يقول الحق ويدعو إليه ، ويرد الباطل وينفر منه ، فى عهد اشتد فيه جور الأمراء سياسيا بحيث يريدون أن يتناسى الناس العهد النبوى الصحيح ، عهد الحرية الدينية ، عهد العلم والعمل ، عهد الدين الصحيح الذى لا يرضى تفكك القوى الإسلامية ، ولا يرتضى الأعمال الأموية التى بدلت الدين بالهوى ، وأقصت بجورها أهل التقوى ؛ فكانت شرا [٧٠] جاثما على صدور الصدر الأول ، وما تغلغل من البغى بجعل الباطل دينا . ومنه لعن على بن أبى طالب فى الجمعات(٢) التى هى مجامع الدين ؛ وبغير حياء ، ومن لا يفعل — على أقل الأشياء — ينتقص

---

(١) فى المخطوطة : « بتلمذ » .
(٢) يعنى بذلك اللعن فى خطب صلاة الجمع حين يجتمع المسلمون للصلاة .

ويحتقر ويجعل ممن تقتحمه العقول ، وتنكص عنه العيون ، ويجعل فى عداد من لا قدر له ولا احترام .

وقد ضاق الحال بأهل الفضل فى الإسلام مع أن العهد بالنبوة قريب ، والعهد بالخلافة الراشدة أقرب ، فكان أهل العلم وأهل الفضل تقطع ظهورهم ويقضون الأيام والليالى فى السجون ظلما وعدوانا .

ولم يبق احترام لأحد من هذا النوع إلا لمن كان من طراز عبد الله ابن أباض عملا بقضية (لولا رهطك لرجمناك) فكان الرهط إذ ذاك سوراً منيعاً . انظروا فى حبس أبى الشعثاء وإخوانه حتى بلغ بهم الحال إلى أنهم يقطعون الشعور التى تطول وأظافرهم بأضراسهم قهراً وأسراً لعدم الرهط المحذور . ولم يكن من ذلك شىء على عبد الله بن أباض وأضرابه ، من أمثال الأحنف الذى إذا سل سيفه سُل معه مائة ألف سيف ، لا يسألونه لماذا سلّ سيفه .

أما أبو عبيدة الضرير ، وأبو الشعثاء الأعور ، وأضرابهم فذلك حالهم والحمد لله حتى كان عبد الله ردئا لهؤلاء يصدقهم إذا قالوا ويؤيدهم إذا أفتوا .

كان عبد الله بن أباض رحمه الله ورحم أباه وتولاهم الله ، كانوا أبطال علم ورجال عمل ، إلا أن السلطة فى يد |٧١| الأمويين إذ ذاك ثم انتقلت إلى الهاشميين ، وكلهم عتاة طغاة أعمدة ملك(١) لم يعرف فيهم للدين أحد

---

(١) المقصود « بأعمدة الملك » أنهم ملوك دنيويون وليسوا خلفاء . وقد أخذ الفقهاء المسلمون على بنى أمية إيجادهم سنة الملك وخروجهم على سنة الخلفاء من قبلهم . أما المؤرخون فقد اعتبروا معاوية بن أبى سفيان أول ملك فى الإسلام .

انظر : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٢٤ (الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية–

إلا عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — فى بنى أمية ، والعباس بن عبد المطلب وابنه البحر(١) فى بنى هاشم ، زمن بقى منهم أعماهم حب الرئاسة واعتقدوها ميراثا(٢) ، فكانوا فى تكالب عليها طيلة أيامهم .

أفبمثل هؤلاء يقوم الدين ؟ وبمثل هؤلاء تنعم الدنيا ؟ سبحان من عم حلمه خلقه وهو يرى أحوال العباد وما ترمى إليه نياتهم !!

كان من أمر عبد الله بن أباض وصلابته فى الحق أنه لما أحدث المسرف مسلم(٣) عامل يزيد بن معاوية ما أحدث بمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقصد بذلك مكة المكرمة ليعمل فيها ما عمله فى أختها : وشاع خبره

=المصرية) ابن طباطبا (المعروف بابن الطقطق) : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ٧٩ (طبعة القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م) ، دكتورة / سيدة اسماعيل كاشف : الوليد بن عبد الملك . ص ٣٠ — ٤٨ (القاهره ١٩٦٣ م — الكتاب ١٧ من مجموعة أعلام العرب)

(١) كان عبد الله بن العباس محدثا ومفسراً ولغويا وأخباريا .

(٢) كانت للدولة الأموية انتقالا بين الخلافة الديمقراطية زمن الخلفاء الأربعة الراشدين وبين الحكم الوراثى المطلق فى العصر العباسى .

وقد أكد العباسيون على أن الخلافة حق شرعى لهم وعلى أنها ميراث لهم عن جدهم العباس ابن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام ، والعم مقدم فى الميراث عن النبى صلى الله عليه وسلم على غيره سواء أكان من الأمويين أم العلويين (راجع خطبة أبى العباس السفاح فى تاريخ الأمم والملوك للطبرى. الجزء التاسع . طبعة المطبعة الحسينية المصرية) كذلك أخذ العباسيون عن الفرس فكرة الحق الإلهى المقدس فى الحكم ، بمعنى أن سلطة الخليفة العباسى مقدسة ومستمدة من الله تعالى (انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٣٧٠ — طبعة القاهرة ١٩١٣ م ، فى المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٢٥٠ — القاهرة ١٣٤٦ هـ) .

(٣) هو مسلم بن عقبة قائد يزيد بن معاوية الذى ضرب المدينة المنورة واستباحها الجند فى موقعة الحرة سنة ٦٣ هـ وبعد ضرب المدينة سار إلى مكة التى كان يحتمى فيها عبد الله بن الزبير ولكنه توفى أثناء الطريق فتولى القيادة بدلا منه الحصين بن نمير السكونى . ويذكر البلاذرى فى أنساب الأشراف أن عبد الله بن أباض اشترك مع ابن الزبير فى الدفاع عن مكة هو ومن معه من المحكمة .

خرج عبدالله بن أباض لصده عن هواه ، وللحيلولة بينة وبين ما يهواه . ولم يجسر أحد أن يتظاهر بذلك غير عبد الله بن أباض ، خوفا من بطش هؤلاء البغاة المتمردين على عباد الله وعلى الدين .

وجمع عبد الله بن أباض مَنْ أطاعه شاهراً أمره ، غير مبال بأحد ، متوجها لحماية مكة منه ، ولما أمنت رجع إلى وطنه بالبصرة . والقضية مشهورة — إلا أننا نحن لا أهمية للتاريخ لدينا — فلذلك تضيع الحقائق عندنا ويفوتنا علمها بذلك .

وهذه البادرة تعبر عن شأن رفيع لعبد الله بن أباض وأعوانه . ومازال علماء الأباضية [٧٢] أنصاراً للحق أعداءاً للباطل ، يخافهم أهل السفه ، ويكرههم أهل الفساد فإنهم مازالوا على شدة فى الدين . انظر وفادتهم على عمر بن عبد العزيز ونقاشهم معه وما قابلوه به حتى وعدهم بإحياء كل يوم سنة ، وإماتة كل يوم بدعة . فلم يكفهم ذلك منه لكونه أمير عامة وهو يريد أن(١) يعمل فى الأمور السياسية . فقالوا : لايرضينا ذلك منك ؛ فإن الإمام العدل لاتسعه التقية والمعنى أنت هو الآن . فطلب منهم ليعلن ذلك غداً على المنبر عند اجتماع الناس فقالوا له : من لك أن تعيش إلى الغد ؟! وإذاك عضدهم ابنه(٢) قائلا : صدق القوم . فقال عمر بن عبد العزيز : الحمد لله الذى أخرج منى مثل هذا ، أو نحو هــذا . ثم مات الولد المذكور ؛ فتولاه الأباضية . والقضية مشهورة أيضاً إن لم يغط عليها الحمد وهو داء دفين نعوذ بالله منه .

---

(١) لا توجد فى المخطوطة كلمة « أن » .

(٢) هو عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز . انظر محمد على دبوز . تاريخ المغرب الكبير . ج ٢ ص ١٨١ — ١٨٢ .

واعلم أن الإمام ابن أباض رحمه الله — كما قدمنا عنه — كان(١) سيفا ماضيا لقطع العراقيل التى تحول بين الحق وأهله ، وهماما مقداما لقطع شأفة الفساد الذى يواجهه ، وعزيمته شديدة فى الاعتماد على الله وحده قبل كل شىء ، وفى المنعة من عشيرته بنى تميم — وهم حجر خشن — لاتلين قسوته بيسير الأمور ، ولا يهون على قومه ، وهم حصنه الحصين ورده المكين ، وقوم الرجل جنته ، وبهم يتقى الشر إذا أقبل عليه . ومازال هذا الحال معروفا فى البشر . انظر ما وقع بين النبى صلى الله عليه وسلم ، والأنصار فى بيعة العقبة « وأن تمنعونى مما [٧٢] تمنعون منه حريمكم وأولادكم » مع أنه نبى الله عز وجل يقدر على منعه من كل أحد فى الكون ، لكن سنة الله عز وعلا فى الكون لها أسباب مقيدة . فكذلك هذا هنا ، ولولا شرف أبى طالب ومنزلته فى قومه لهلك محمد صلى الله عليه وسلم بين أنيب قومه العتاة . لكن لما وقف أبو طالب لهم وقفة الأسد الباسل لم يقدروا على أى عمل فيه مما حاولوه فى شخصه . أما الديانة فلم يكن أبو طالب مسلما فيقوم لدفاع قومه عن إسلامه ، وقد قال : اعلم أن دين محمد حق إلا أنى أفضل أن أموت على دين الأشياخ حتى لايقولوا إن أبا طالب صبا إلى دين ابن أخيه آخر عمره .

ولاشك أن الحق يحتاج إلى أنصار ، وليس كرهط الرجل له أنصار طبعا . والحق إذا تولاه مؤمن قوى كعبد الله بن أباض ؛ وعبد الله بن

---

(١) فى المخطوطة « أنه كان » .

وهب(١) ، والمرداس ، وأمثالهم تكون له هيبة فعالة ، وناهيك بهيبة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه .

وبذلك الحال أظهر عبد الملك بن أباض الحق ، وقامت له هيبة حتّى فى قلب الملك عبد الملك بن مروان حتّى عاد يستعطفه ويلين له ويحاول ضمه إليه(٢) كما سوف تراه فى محله إن شاء الله .

وفى الملل والنحل للشهرستانى قال : عبد الله بن أباض الذى خرج فى أيام مروان بن محمد ، فوجه إليه مروان بن محمد المذكور لقتاله عبد الله بن عطية فقاتله بتبالة . [٧٤] وكان عبد الله بن يحيى الكندى إمام اليمن من أعضاد عبد الله بن أباض فى هذه الحرب وفى أقواله وأفعاله ، وأن عبد الله بن أباض هو الرئيس عليه . مع أن عبد الله بن يحيى كان من بيت زعامة إلا أن أمر الدين أكبر من أمر الدنيا والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

لقد شهد لعبد الله بن أباض أعداؤه أنه على الحق الذى لاشك فيه . وكيف لا ؟ والكتاب والسنة هما دعامتاه ؟ وما كان كذلك فلن يضيع وإن تألب عليه أعداه. ولا شك أن الإسلام والإيمان بمعناهما لم يبقيا فى مذهب ما على أصولهما الصحيحة إلا فى مذهب الأباضية لأن الأباضية لايزالون يصارعون الزعامات التى تكون مخالفة للحق ومناوئة للعدل . فإن الملوك

---

(١) كان عبد الله بن وهب الراسبى من الصحابة الزاهدين . وكان ممن خرجوا بعد قبول على بن أبى طالب التحكيم إلى النهروان وبايعه أصحابه على الإمامة فى ١٠ شوال سنة ٣٧هـ. وقد قتل فى معركة النهروان .

(٢) كان الأمويون يصطنعون الرجال ، والتاريخ الأموى يشهد كيف حاول الأمويون استمالة أعدائهم وأعوان أعدائهم أو من كانوا ضدهم أو ممن لا يميلون إليهم ، مثلما فعل معاوية ابن أبى سفيان مع عمرو بن العاص ومع زياد بن أبيه ، ومثلما فعل عبد الملك بن مروان مع المهلب بن أبى صفرة ومع مصعب بن الزبير .

أتباع شهواتهم غالبا(١) بل وربما كانوا ضد أعدائهم الذين لا يقولون بقولهم ولا يميلون ميلهم . وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها ؟ ذلك أن الذين يقدسون الملوك ولا يرون الخروج عليهم هم أفسدوا الدين ومزقوا شمله ، بخلاف علماء الأباضية الذين يقومون لصراع الملوك بقصد حملهم على المنهج الشرعى الذى أوجب الله المسير عليه فيرتكبون الأخطار بنصب الأئمة فيقاتلونهم حتى يردوهم إلى الحق . وهذا تاريخهم شاهد بذلك فى جميع بلاد الأباضية .

كان عبد الله بن أباض قويا فى دين الله ذا عزيمة ثابتة ، |٥٧| لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، ولا يبالى بملك تخاف سطوته أو تهاب قوته ولا يرى غير الحق شيئا ولا يتزحزع عنه قيد شعره منتقداً لأعمال الملوك مؤنبا(٢) رادا عليهم . ولما خرج مسلم عامل يزيد لإذلال مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفعل فيها المنكرات القاسية حيث استباحها ثلاثة أيام ، وهى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبال بها ، ثم هم بالمسير إلى مكة المكرمة ليفعل فيها مثال ذلك ، قال عبد الله بن أباض : لا يحل السكوت على هذا الحال . فخرج للقياه بمن معه من أصحابه وقومه ، ولكن قضى الله على ذلك الطاغية فمات فى الطريق ولم يصل مكة فسلمها الله .

وبعد استقرار الأمن وزوال المحذور ، رجع عبد الله بن أباض إلى البصرة . هذا فعل عبد الله بن أباض ونواياه فى حرم الله عز وجل ،

---

(١) لا شك أن الكلام هنا ينطبق على الملوك المستبدين الظلمة . أما الملوك والرؤساء الدستوريون الذين يختارهم الشعب لحبهم لهم ولماضيهم المجيد فهؤلاء يعتبرون رؤساء دولة لا ملوكها ما دام حكمهم صالحاً عادلا غير مطلق .

(٢) فى المخطوطة « مأنبا » .

وتلك أعمـــال أولئك الطغاة . وقومنا يقولون لايجوز الخروج عليهم بل عليكم الصبر ، فعلى الأقل أين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو كما ثبت إجماعا بأنه اليد أولا ؛ وهل اليد إلاالعصا ثم السيف؟ وكيف لايجوز الخروج عليهم وهم يفسدون فى الدين ويبدلون حكم الله بحكم القوانين وهذا هو الكفر الواضح ، حاشا الله أن يرضى بذلك! وهذاكتابه بين أيدينا ينطق بالحق [٧٦] ويهدى إليه . ونحن إن شاء الله لا نعتمد إلا الحق ولا نرضى غيره بدلا منه .

قال الإمام السالمى – رحمه الله – « فى كشف الحقيقة » :

قد كان فى أيام عبد الملك مع شدة الأمر وضيق المسلك
نـــاقشـــه وبين الصوابـــا ولم يكن لبأسه قد هابا
وكان لا يدعوه إلا باسمه تعززا بحقــه وعلمـــه
فصار معروفا مع الجميع لما حوى من شرف رفيع
ونسبوا من كان فى طريقته إليه لاشتهار حسن سيرته

* * *

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف . تولى الخلافة بعد موت أبيه فى سنة خمس وستين للهجرة. وكان من نساك بنى أمية وكان يلقب « حمامة المسجد » لملازمته . ويلقب، أيضا بأبى الذباب لبخره إذ كان أبخر (١) ، ويلقب « برشح الحجر » لبخله فإنه كان بخيلا إلى آخر درجات البخل (٢) . ولما جاءته الخلافة كان قاعدا

---

(١) البخر : كل رائحة ساطعة .

(١) روت المصادر التاريخية المختلفة أن عبد الملك بن مروان كان سخياً مع قواده وجنوده ـــ

يتلو القرآن . قال الدميرى : كان عبد الملك قبل الخلافة متعبدا ناسكا عالما فقيها واسع العلم ، حازما ، لايكل أمره إلى غيره ، محبا للفخر ، مقداما على سفك الدما ، وكذلك كان عماله .

قلت : لقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن « دين الرعية من دين ملوكها » . فإذا كان الملك يحب شيئا أحبه أهل طاعته إلا من شاء الله وهم القليل ، أما السواد الأعظم فهم على دين الملوك .

كان عماله الحجاج بالعراق [٧٧] والمهلب بن أبي صفرة بخراسان ، وهشام بن إسماعيل (١) وولده عبد الله بمصر ، وموسى بن نصير بالمغرب ومحمد بن يوسف أخو الحجاج باليمن ومحمد بن مروان أخوه بالجزيرة .

قال : وكل من هؤلاء ظلوم غشوم جبار ، قاله ابن خلكان .

وكان عبد الملك كما قلنا جاءته الخلافة وهو يقرأ القرآن ، فرماه من يده وقال : هذا فراق بيني وبينك .

وكان ظلوما عاتيا عظيما فى ملوك العرب ، إذ تغلغلت هنا الملكية فيه

= وأنه كان يعيب على عبد الله بن الزبير بخله فكا يقول (... و أن ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ، ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائساً) . وقال على بن زيد كلاماً مشابهاً حين تحدث عن عبد الله بن الزبير فقال : « كان عبد الله طويل الصلاة كثير الصيام . وكانت فيه خلال مباينة لما حاول من الخلافة : بخل وضيق ولجاج » . والحق أن عبد الملك كان يكافئ الممتازين وليس كل من يفد عليه للسؤال ولذا رماه البعض بالبخل ممن لم يظفروا بنواله .

(١) ولى هشام بن إسماعيل المدينة نحو أربع سنين حتى سنة ٨٧ هـ (٧٠٦ م) وعلم الوليد ابن عبد الملك أن هشاماً بن إسماعيل كان يسىء إلى الناس ويؤذيهم وأن علياً بن الحسين لقى منه أذى شديداً . ويذكر اليعقوبى (تاريخ ج ٣ ص ٢٨) : « وولى الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة وأمر أن يقف هشام بن إسماعيل للناس ، وكان هشام بن إسماعيل المخزومى قد أساء السيرة وجار فى الأحكام وتحامل على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم » . أما الطبرى فيقول إن الوليد كتب إلى عمر بن عبد العزيز — بعد أن ولاه المدينة بدلا من هشام « أن يقف هشام بن إسماعيل للناس » (تاريخ الطبرى ج ٨ ص ٦١) .

بكل مراسمها (١) .

وكانت بينه وبين ملك الروم أحوال على الصرف (٢) المتداول فى أيدى المسلمين ، فيه كتابة بلغة الروم فى الدنانير ، وبلغة الفرس فى الدراهم تتنافى مع الأنظمة الإسلامية . إلا أن العرب لايعرفون ماتدل عليه ، حتى لما انكشف لعبد الملك ذلك قام فيها وقعد . وأراد ملك الروم إبقاءها على أصلها فلم يقبل عبد الملك ذلك ، بل أراد إبدالها أو يقوم هو بوضعها . فكان من ملك الروم لعبد الملك بن مرو ان ما أخذ من قلبه مأخذه . ولكن الرجل من أبطال العرب (٣) .

لم يشعر ملك الروم إلا والأمر انتهى فى صالح عبد الملك بن مروان . وفشل ملك الروم حين رأى فى العالم الإسلامى كله انتشار النقود التى ضربها عبد الملك بن مروان . وحمله قومه على تنفيذ تهديداته لعبد الملك بن مروان ، فأجابهم بفوات الإمكان .

وكان أول من سمى بعبد الملك فى [٨٧] الإسلام ، وأول من ضرب الدنانير والدراهم فى الإسلام ، ونقش فى أحد جوانبها « لا إله إلا الله » وبالجانب الآخر ، « محمد رسول الله » .

ونشرها فى بلاد الإسلام ، وتوعد من يقبل غيرها من سكك النصارى

---

(١) ذكر المؤرخون أن عبد الملك بن مروان « أول من تجبر من الخلفاء » وذكر البلاذرى فى أنساب الأشراف أن الوليد بن عبد الملك « أول من تجبر من الخلفاء » .

(٢) يعنى « بالصرف » السكة أو النقود أو العملة.

(٣) روى المؤرخون أن السبب الذى حدا بعبد الملك إلى هذا هو أن القراطيس كانت تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتى العرب من قبل الروم الدنانير . فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذى يكتب فى رءوس الطوامير من (قل هو الله أحد) وغيرها من ذكر الله. فكتب إليه ملك الروم : إنكم أحدثتم فى قراطيسكم كتاباً نكرهه فان تركتموه وإلا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه . قال : فكبر ذلك فى صدر عبد الملك وكره ان يدع سنة حسنة سنها فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فى ذلك فلم يكن منه إلا أن قال: حرم—

أو اليهود أو غيرهم فلم يشعر الملك الرومى إلا وهى ملء بلاد الإسلام .

وكانت قبلها الدنانير البغلية (١) لأن راس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت كسروية وضعت صورة كرسى كسرى وتحت الكرس « نوش خوراى » (٢) كل هنيئا .

وكانت له أخبار طويلة عريضة لسنا بصددها الآن بل أخذنا ، أو تأخذ ما يدل على عظمة ملك عبد الملك الذى مازال له السلطان القاهر مع غطرسته .

ولم يكن ابن أباض بالرجل الذى يهاب ذلك فى حق الدين الذى فرضه الله على عباده ، بل كان ابن أباض رادا على عبد الملك معارضا له فيما يخالف الحق ، ناصحا له بقلمه الذى هو أشبه بالصارم المصقول .

قال الدميرى : والذى لقب عبد الملك « بحمامة المسجد » عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وجاءته الخلافة وهو يقرأ فى المصحف فطبقه وقال : سلام عليك هذا فراق بينى وبينك ، وكان يشير ابن عمر فى الفقه إلى

= دنانيرهم فلا يتعامل بها واضرب الناس سككا ، ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا فى الطوامير . فقال عبد الملك : فرجتها عنى فرج الله عنك إلخ ، وضرب الدنانير (البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٤٠ : والمقريزى : النقود الإسلامية ص ٦ ، وأبو المحاسن ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ١٧٦-١٧٧) .

(١) الدراهم البغلية : نسبة إلى « بغل » وهو اسم يهودى ضرب تلك الدراهم وكان يعرف براس البغل . وكانت الدراهم البغلية من الدراهم الوافية فى فارس فالدرهم وزنه زنة المثقال الذهب . والدرهم الشرعى دون البغلى . (انظر : الأب أنستاس الكرملى : النقود العربية ص ٢٢) .

(٢) نوش خوراى . جملة فارسية ترجمها المؤلف بعبارة « كل هنيئاً » أما فى القاموس الفارسى الإنجليزى فهى تعنى فى هذا المجال : « تقبل » أو « تفضل » أو « تقبل بقبول حسن » . أما كلمة « نوش » فمعناها فى هذا المجال « الأخذ » أو « أخذ أى شىء حسن أو قوى » وأما كلمة « خوراى » فهى تعنى الشىء المرتب والمقبول (راجع : F. Steingass : A Comprehensive Persian – English Dictionary, Second Edition. London 1930. p. 485,1434.

عبد الملك (١) . وتوفى فى شوال سنة ٨٦ ست وثمانين وله من العمر ثلاث وستون سنة : وقيل ستون فقط ، فهى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخلاف فيها أيضاً . وكان قاتل عبد الله بن الزبير فقضى عليه(٢).

وكان من جبره وظلمه [أن](٣) قال لابنه الوليد لما ثقل فى ٧٩ مرضه : ياوليد لاألفينك إذا وضعتنى فى حفرتى تعصر عينيك كالأمة الوهاء ، بل اتزر وشمر والبس جلد النمر وادع الناس إلى البيعة فمن قال برأسه كذا — أى لا — فقل بالسيف كذا — أى اضرب عنقه .

هذه وصية ذلك الطاغية التى تسجلها له الملائكة أول دخوله فى الآخرة وآخر خروجه من الدنيا والله المستعان . أن المقصود من ذكر هذه النبذة الوجيزة من تاريخ عبدالملك بن مروان لنبرهن بذلك على منزلة عبد الله بن أباض أيام هذا السلطان ، فيتبين كما قيل ، وبضدها تتبين الأشياء . فمن عرف حالة عبد الملك بن مروان علم منها مقام عبد الله بن أباض ، إذ يناقش عبد الملك فى أمور عديدة ، ويرد عليه أقواله ، وينتقد عليه تلك الأعمال كما سوف نذكر للقارئ نبذة منها .

كتب عبد الملك بن مروان لعبد الله بن أباض (كتابا) (٤)وأرسله إليه بيد سنان بن عاصم أحد رجاله ، طلب فيه من عبد الله بن أباض أن

---

(١) قضى عبد الملك بن مروان فى المدينة المنورة حوالى أربعين عاماً منذ مولده حتى مغادرة أسرته للحجاز إلى الشام فى سنة ٦٤ هـ . ويعد عبد الملك من التابعين ، وقد أخذ عن الصحابة والتابعين الذين كانوا بالمدينة آنذاك . وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى أن عبد الملك سمع من أبى هريرة ، وابى سعيد الخدرى ، وجابر بن عبد الله ، وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر الذهبى ذلك أيضاً وأشار إلى من سمع عنهم مثل أم سلمة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام وابن عمر . وممن أخذ من عبد الملك عروة ، ورجاء بن حيوة والزهرى وغيرهم .

(٢) فى سنة ٧٢ هـ تغلب بنو أمية على العراق وتغلبوا على الحجاز فى سنة ٧٣هـ ، وقتل ابن الزبير فى هذه السنة .

(٣) أن : زيادة من عندنا .

(٤) كتابا : زيادة من عندنا .

يكشف له حقيقة ما عنده . وكان ذكر له عثمان وما هو عليه ، وعرّض له فيه بأمر الأمة وما هى فيه ، وأنها بحيث يهتم بها وبشأنها الزعماء وأن لعثمان قدم سبق ويد فضل فى الإسلام ، وذكر عثمان عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلته معه ، وذكر معاوية وما هو عليه من السلطة والانتصار على خصومه وأن الله قام معه [٨٠] وعجّل نصره وبلج حجته ، وأظهره على عدوه فى الطلب بدم عثمان .

وكان يحذر ابن أباض من الغلو فى الدين بزعمه ، والقصد أن يستكين ابن أباض كما استكان غيره ، ويقف عند الأمر الذى يراه عبد الملك ، وعرّض له بالخوارج وأنهم يغلون فى الدين ، ومراده أن لا يشتد عبد الله ابن أباض عليه وعلى أعماله وعمّاله(١) . وكان عبد الملك يروم اختداع عبد الله بن أباض حيث يتظاهر له بمظهر الطاعة وهى فى الحقيقة من خدائع الملوك للعلماء الذين يراعون فيهم الحياة الدينية .

ولذلك قام عبد الملك يلبس لعبد الله بن أباض لباس الضراعة لقصده السياسى فيما هو بصدده ويستعمل الدهاء فى وجه ابن أباض لعله يغره بذلك، حيث قال له فى كتابه المشار إليه كلاما معناه : أرجو نصحك وأقبل كلامك وأعمل بنظرك ، ولاتأل (٢) جهدا فى نصحى وذكره بالله على ذلك . وهو خداع ونفاق حيث أشار إليه بقوله عز وجل : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى . .) (٣)

---

(١) كان كبار عمال عبد الملك هم : الحجاج بن يوسف الثقفى واليا على العراق والمشرق ، والمهلب بن أبى صفرة واليا على خراسان ، ثم ابناه يزيد والمفضل ، ومحمد بن مروان على الجزيرة والموصل ، وعبد العزيز بن مروان فى مصر ، وحسان بن النعمان الغسانى على بلاد المغرب . وتعاقب على الحجاز يحيى بن الحكم ، وإبان بن عثمان بن عفان ، وهشام بن إسماعيل المخزومى .

(٢) فى المخطوطة « ولا تألو » .

(٣) سورة البقرة . آية ١٥٩ .

والآية الثانية أيضاً وهى قوله: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننُنَّه الناس ولاتكتمونه . . .)(١)

وطلب من عبد الله بن أباض إعادة كتابه إليه حتى لايبقى فى يد عبد الله بن أباض فيراه الناس فيقولون فيه أشياء (٢) .

ومن دهائه أنه (٣) كان عرض لعبد الله بن أباض بما [٨١] لديه من دنياه (٤) ظنا منه الانقياد لها ، والميل إليها ، والاغترار بر ياشها وزينتها . وكان رحمه الله ورضى عنه ، بعيدا من ذلك .

وسرعان ماأجابه عبد الله بن أباض على كتابه ذلك جوابا شافيا وافيا . فقال كما قال العلامة البرادى حاكيا له :

(١) سورة آل عمران . آية ١٨٧ .

(٢) فى أصل المخطوطة كتبت كلمة « يفهمون» بعد أشياء . وربما قصد الكاتب« ويفهمون مغزى الكتاب » .

(٣) « أنه » زيادة من عندنا ولا توجد فى أصل المخطوطة .

(٤) يعنى أنه عرض مالا أو منصباً وما شاكل ذلك .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان . أما بعد سلام عليك . فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو . وأوصيك بتقوى الله فإن العاقبة للتقوى والمرد إلى الله . واعلم أنه إنما يتقبل الله من المتقين . وقد جاءنى كتابك مع رسولك سنان بن عاصم ، وإنك كتبت إلىّ أن أكتب لك ، أى تطلب منى أن أكتب لك بكتاب ، فكتبته إليك . فمنه ما تعرف ومنه ما تنكر ، ولكن الذى تنكره ليس عند الله بمنكر . وأما ما ذكرت من عثمان وما عرضت به من شأن الأمة ، فإن الله ليس ينكر عليه أحد شهادته فى كتابه الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن من لم يحكم بما أنزل الله (فأولئك هم الظالمون) (١) والفاسقون الكافرون — وكان أراد بذلك التعريض به ، أى أنك أنت من هؤلاء — (٢) قال : « ثم إنى لم أكن أذكر لك من شأن عثمان شيئا إلا والله تعلم أنه حق .

وسأنزع لك من على ذلك البينة من كتاب الله وسأخبرك خبر عثمان طعنا عليه فيه ، وأبين شأنه وأمره . لقد كان عثمان كما ذكرت من قدمه الإسلام ، ، ولكن الله لم يجر [٨٢] العباد من الفتنة . وذلك أن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه الكتاب وبيّن له فيه كل أمر ، وفصل فيه كل حكم ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وجعله هدًى (ورحمة لقوم يؤمنون) (٣) فأحل فيه حلالا وحرم فيه حراما ، وحكم أحكاما ، وفرض فرائض وحدودا . وقال : (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) (٤) ثم أمر نبيه باتباع كتابه وقال : (واتبع ما يوحى إليك من ربك) (٥) قال : (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) (٦) فعمل

(١) سورة المائدة . آية ٤٥ .

(٢) جملة اعتراضية من المؤلف . وليست فى كتاب عبد الله بن أباض .

(٣) سورة يوسف . آية ١١١ .

(٤) سورة البقرة . آية ٢٢٩ .

(٥) سورة الأحزاب . آية ٢ .

(٦) سورة القيامة . آية ١٨ — وقد كتب سهواً فى المخطوطة (وإذا) بدلا من (فإذا) .

محمد صلى الله عليه وسلم بأمر ربه ، ومعه عثمان ومن شاء الله من أصحابه لايرونه يتعدى حداً ، ولا يبدل حكماً ، ولا يستحل حراما ولا يحرم حلالا ، ولا يبدل فريضة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إني أخافُ إن عَصَيْتُ ربي عذاب يوم عظيم) (١) فعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يعمر تابعا لما جاء به من عند الله . وبلّغ لما ائتمنه الله عليه معلما للمؤمنين مبصراً لهم حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أورث الله عز وجل المؤمنين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو كتابه ؛ الذى يهتدى به من اهتدى باتباعه ، ولا يضل من ضل إلا بتركه . ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله عنه على الناس ، فأخذ كتاب الله وعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يفارقه أحد من المسلمين . ولم يعيبوا عليه فى حكم حكمه ولا قسم [٨٣] قسمه حتى فارق الدنيا ، وأهل الإسلام عنه راضون وله مجامعون . ثم قام من بعده عمر فكان قويا على الأمر ، شديدا على أهل النفاق ، يهتدى بمن كان قبله من المؤمنين ، ويعمل بكتاب الله . وابتلاه الله بفتوح من الدنيا بما لم يبتل به صاحبيه . وفارق الدنيا والدين ظاهر ، وكلمة الإسلام جامعة وشهادة المؤمنين له قائمة بالوفاء .

والمؤمنون شهداء الله فى الأرض . قال الله عز وجل : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . (٢) ثم استشار المسلمين فتركها فيهم (٣) فولوا عثمان . وفعل بما شاء الله بما يعرف

---

(١) سورة يونس . آية ١٥ . وفى سورة الأنعام آية ١٥ : (قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٣) لما طعن أبو لؤلؤة المجوسى عمر بن الخطاب : ألح عليه المهاجرون أن يستخلف فتردد وقال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى (يعنى أبا بكر) : وإن أترك فقد ترك من هو خير منى (يعنى الرسول عليه الصلاة والسلام) . ثم استقر رأيه على ترشيح ستة من كبار الصحابة ، وهم على وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف ليختاروا الخليفة من بينهم .

الإسلام حتى بسطت له الدنيا وفتح له من خزائن الأرض . وأحدث أموراً لم يعمل بها صاحباه قبله ، وعهد الناس يومئذ قريب منهم . فلما رأى المؤمنون ما أحدث أتوه وكلموه وذكروه بكتاب الله وسنة رسول الله، وسنة من كان قبله «

وشق عليه أن ذكروه بآيات الله ، وأخذ بالجبرية . وضرب من شاء منهم ، وسجن ونفاهم فى أطراف الأرض من أجل أن ذكروه بكتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وآثار من كان قبله من المؤمنين .

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون)(١) وأنا أبين لك يا عبد الملك بن مروان ما أنكر المسلمون على عثمان [٨٤] وفارقوه عليه عسى أن تكون غافلا فأذكرك ، أو جاهلا فأعرفك . فلا يحملنك هواء عثمان يا عبد الملك أن تكذب بآيات الله . فإنه لا يغنى عنك من الله شيئاً فالله الله يا عبد الملك قبل التناوش من مكان بعيد وقبل أن تكون لزاما ! !

وإنه كان مما طعن عليه المسلمون وفارقوه وفارقناه عليه . قال الله عز وجل : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ، لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم)(٢). وكان عثمان أول من منع مساجد الله أن يقص فيها كتاب الله .

ومما نقمنا عليه وفارقناه أن الله عز وجل قال :

(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من

---

(١) سورة السجدة . آية ٢٢ .

(٢) سورة البقرة . آية ١١٤ .

الظالمين)(١)

فكان خيار هذه الأمة قد طردهم ونفاهم ، فكان من نفى من أهل المدينة أباذر الغفارى »

قلت(٢) : وكان أبو ذر من زهاد الصحابة وعبادهم وفيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضرا أصدق ذى لهجة من أبى ذر »(٣)

وهل يرضى أحد فيه ذرة من إيمان يرضى بأذية أبى ذر فى عرض أو حال أو مال مع ما أصاب المذكور من السوء الذى لا يفعله غير متوحش ! إنا لله وإنا إليه راجعون [٨٥] وإذا لم يؤثر على قلوب المؤمنين مثل ذلك فماذا يؤثر عليها ؟

« قال (٤) : ومسلم الجهنى — أى ومن نفاه عثمان مسلم الجهنى — ونافع بن الحطام . ونفى من أهل الكوفة كعب بن جندب ، وجندب بن زهير قاتل الساحر ، ونفى عمر بن زرارة ، ويزيد بن صوحان ، وأسود ابن دويج ، ويزيد بن قيس الهمدانى ، وكردوس بن الحضرمى فى أناس كثيرين من أهل الكوفة . ونفى من أهل البصرة عامر بن عبد الله ، ومذعور العنبرى ، ومن لا يستطاع عددهم .

---

(١) سورة الأنعام . آية ٥٢ .

(٢) من أول هنا الكلام لمؤلف المخطوطة إلى أن يستأنف رسالة عبد الله بن أباض إلى الخليفة عبد الملك بن مروان بقوله : قال ...

(٣) تحدث عن أبى ذر الغفارى المؤرخون القدامى وكتب الطبقات وذكروا حسن إسلامه. وفى الطبقات الكبرى لابن سعد عن الرسول عليه الصلاة والسلام نقلا عن عبد الله بن عمر : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبى ذر » : ونقلا عن أبى هريرة قوله عليه الصلاة والسلام : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر ، من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبى ذر » (ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٢٢٨ — دار صادر بيروت — ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م) .

(٤) استئناف لرسالة عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان .

ومما نقمنا عليه أنه أمر أخاه الوليد بن عقبة — أخاه لأمه — أمره على الناس . فكان يلعب بالسحر ويصلي بالناس سكران ، فاسق في دين الله (١) .

وإنما أمره من أجل قرابته . ومما نقدنا عليه جعل المال دولة بين الأغنياء ، وقد قال الله عز وجل : (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) (٢) فبدل فيه كلام الله واتبع هواه .

ومما نقمنا عليه أنه منع مواضع القطر وحماها لنفسه ولأهله ، ومنع الرزق الذي أنزله الله لعباده متاعاً لهم ولأنعامهم . وقد قال الله عز وجل (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون) (٣).

ومما نقمنا عليه أنه أول من تعدى في الصدقات ، وقد قال الله عز وجل : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها) (٤) الآية .

وقال : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى [٨٦] الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) (٥) .

والذي أحدث عثمان منعه فرائض كان فرضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنقص أهل بدر أعطياتهم ألف ألف .

---

(١) روى أن الوليد بن عقبة وهو أمير على الكوفة ، صلى بالناس الصبح وهو سكران : ثم قال لهم : إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدتكم . فلما بلغ عثمان ذلك لم يسرع إلى إقامة الحد عليه بل أخر ذلك . (انظر : ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٦) .

(٢) سورة الحشر . آية ٧ .

(٣) سورة يونس . آية ٥٩ .

(٤) سورة التوبة . آية ٦٠ .

(٥) سورة الأحزاب . آية ٣٦

وكنز الذهب والفضة ولم ينفقها فى سبيل الله . وقال الله عز وجل : (... ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم) (١). الآية . ومما نقمنا عليه ، كان يضم كل ضالة إلى إبله ولا يردها ولا يعرفها ، وكان يأخذها من الإبل والغنم إذا وجدها عند أحد وإن كانوا قد أسلموا عليها (٢) ؛ وكان لهم فى حكم الله ما أسلموا عليه . وقد قال الله عز وجل : (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) (٣) ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . وقال : (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) (٤) .

ومما نقمنا عليه أنه أخذ خمس الله لنفسه ، وأعطى منه أقاربه ، وكان ذلك تبديلا لحكم الله ، وفرض الله الخمس لله (وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (٥) والله على كل شىء قدير .

= وفى نص المخطوطة كتب « ... فقد ضل ضلالا بعيداً وضل ضلالا مبينا » .

(١) سورة التوبة . آية ٣٤ و ٣٥ .

(٢) أسلموا عليها : تصالحوا عليها .

(٣) سورة الأعراف . آية ٨٥ .

والآية (... ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين) .

(٤) سورة النساء . آية ٢٩ .

فى المخطوطة كتب المؤلف (ولا تأكلوا أموال) وذلك فى صفحة ٨٦ من المخطوطة ولم يكمل الآية . وقد رجعنا إلى البرادى : الجواهرة المنتقاه حيث أورد كتاب عبد الله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان (ص ١٥٦-١٦٧) فوجدنا الآية التى أثبتناها من سورة النساء . ونلاحظ أنه فى المخطوطة أضاف حرف « الواو » قبل لا : وأنه لم يكمل بعد أموال فكتب « وقال ولا تأكلوا أموال » .

(٥) سورة الأنفال . آية ٤١ .

ومما نقمنا عليه منع أهل البحرين وأهل عمان أن يبيعوا شيئاً من طعامهم حتى يباع (طعام) (١) الإمارة . وذلك تحريم لما أحل الله (وأحل الله [٨٧] البيع وحرم الربا) (٢) .

ومن عمل عثمان أنه يحكم بغير ماأنزل الله . وقد خالف سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل صاحبيه . وقال الله عز وجل :

(ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) (٣) .

وقال : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (٤) ، والكافرون والفاسقون .

وقال : (ألا لعنةُ الله على الظالمين) (٥) .

وقال : (ومن يلعن اللهُ فلن تجدَ له نصيرا) (٦) .

وقال : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم) (٧) .

وقال : (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون)(٨).

وكل هذه الآيات تشهد على عثمان ، وإنما شهدنا عليه بما شهدت به عليه هذه الآيات . والله يشهد بما أنزل (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون

---

(١) كلمة (الطعام) أضفناها من كتاب « البرادى : الجواهر المنتقاة » : وهي ليست مثبتة في المخطوطة .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٧٥ .

(٣) سورة النساء . آية ١١٥ .

(٤) سورة المائدة . آية ٤٥ .

(٥) سورة هود . آية ١٨ .

(٦) سورة النساء . آية ٥٢ .

(٧) قال الله تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) سورة هود . آية ١١٣ .

(٨) سورة يونس . آية ٣٣ .

كتب سهواً في المخطوطة (وكذلك ...) .

وكفى بالله شهيداً) (١) .

فلما رأى المسلمون الذى أتى به عثمان من معصية الله ، والمؤمنون شهداء الله فى أرضه ، ناظرون فى أعمال الناس ، وقال الله عز وجل : (وقل اعملوا فسيرى اللهُ عملَكم ورسولُهُ والمؤمنونَ) (٢) .

وترك خصومه فى الحق والباطل ، ووقع ماوعد الله من الفتن . وقدقال الله عزوجل : (الــم أَحسِبَ الناسُ أن يُترَكوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفْتَنُون . ولقد فتنَّا الذين من قبلِهِم فليعلمَنَّ اللهُ الذين صَدَقُوا وليعلَمنَّ الكاذبين) (٣) .

وعلم المسلمون أن طاعة [٨٨] عثمان على ذلك طاعة إبليس ، فساروا إلى عثمان من أطراف الأرض ، واجتمعوا إليه فى ملأ من المهاجرين والأنصار ، وعامة أزواج النبى عليه الصلاة والسلام . فأتوه فذكروه بالله : وأخبروه بالذى أتى من معاصى الله ، فزعم أنه يعرف الذى يقولون وأنه يتوب إلى الله عزوجل منه ، ويراجع الحق . فقبلوا منه الذى أتاهم به من الاعتراف بالذنب والتوبة إلى الله عزوجل ومراجعة الحق . وكان حقاً على أهل الإسلام إذا التقوا بالحق يقبلوه ، ويجامعوه ما استقام على الحق . فلما تفرقوا عنه نكث الذى عاهدهم عليه ، وعاد إلى أعظم من الذى تاب منه ، فكتب إلى عماله فى أدبارهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . فلماظهر المؤمنون على كتابه ونكثه العهود رجعوا إليه وقتلوه بحكم الله . وقد قال الله عز وجل : (وإن نكثوا أيمانَهم من بعد عهدِهِم وطعنوا فى دينِكم فقاتِلوا أئمة الكفْر إنَّهم لاأيمان لهم لعلَّهم ينتهون) (٤) . وقد عمل بكتاب الله وجامع المسلمين زماناً ثم ارتد على عقبه . وقد قال الله عز وجل : (إنَّ الذين ارتدُّوا على

(١) سورة النساء . آية ١٦٦ .
(٢) سورة التوبة . آية ١٠٥ .
(٣) سورة العنكبوت . الآيات ١ و٢ و٣ .
(٤) سورة التوبة . آية ١٢ .

أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطانُ سَوَّلَ لهم وأملى لهم)(١) .

فهذا وأمثاله من خبر عثمان هو الذى فارقه عليه المسلمون والمؤمنون . وفارقناه عليه وطعنوا عليه [٨٩] فيه ، وطعنا نحن اليوم فيه . وذكرت كونه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه معه ، فقد كان على بن أبى طالب أقرب قرابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعظم ختنة ، وأقدم هجرة وأسبق إسلاما ، وأنت تشهد له بذلك وأنا بعد ذلك . فكيف كانت قرابته وختنته ؟ هل كانت نجاة إذا ترك الحق أم هلاكا ؟ واعلم أن علامة كفر هذه الأمة إذا تركوا الحكم بما أنزل الله وحكموا بغير ماأنزل فمن أصدق من الله حكما لقوم يوقنون (٢) وقال : (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) (٣) .

فلا يغرنك ياعبد الملك بن مروان من نفسك، ولاتسند دينك إلى الرجال فإنهم يستدرجون من حيث لايعلمون . فإن أملك الأعمال خواتمها . وكتاب الله جديد أبدا لاينطق إلا بالحق . أجارنا الله باتباعه أن نبغى أو نضل . فاعتصم بالله ياعبد الملك بن مروان يهديك إلى صراط مستقيم .

قال الله عز وجل : (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) (٤) وكتاب الله هو حبل الله المتين الذى أمر المؤمنين أن يعتصموا به فقال : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا)(٥) فأنشدك الله أن تدبر معانى القرآن فتكون مهتديا به مخاصمابه . قال الله عز وجل :

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (٦)

---

(١) سورة محمد . آية ٢٥ .

(٢) فى القرآن الكريم آية بنفس المعنى وان اختلفت فى اللفظ : قال تعالى : (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) . سورة المائدة . آية ٥٠ .

(٣) سورة الجاثية . آية ٦ .

(٤) سورة آل عمران . آية ١٠١ .

(٥) سورة آل عمران . آية ١٠٣ .

(٦) سورة محمد . آية ٢٤ .

[٩٠] وأما قولك فى معاوية إن الله قام معه ، وعجل نصره، وبلج حجته ، وأظهره على عدوه بالطلب لدم عثمان : فإن كنت تعتبر الدين من قبل الدولة والغلبة فى الدنيا، فإنا لانعتبره من قبل ذلك . فقد ظهر المسلمون على الكافرين لينظر كيف يعملون، وظهر المشركون على المؤمنين ليبلى المؤمنين ويملى للكافرين. وقال : (وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنو ويتخذ منكم شهداء والله لا يُحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) (١)

وانظر ماأصاب المؤمنين من المشركين يوم أحد . وانظر كيف ظهر قتلة عثمان بن عفان عليه وعلى شيعته يوم الدار (٢) . وظهر علىّ على أهل البصرة وهم شيعة عثمان (٣) . وظهر المختار على زيد وأصحابه وهم شيعتهم . وظهر مصعب على المختار (٤) . وظهر أهل الشام على أهل المدينة (٥). وظهر الزبير على أهل الشام بمكة . فلا تعتبر الدين من قبل الدولة، فقد يظهر الناس بعضهم على بعض . وقد أعطى الله فرعون ملكا وظهر فى الأرض ؛ وأعطى الذى حاج إبراهيم فى ربه ملكا . ثم إن معاوية اشترى الإمارة من الحسن ابن على ، ولم يف له بما اشترطه عليه وعاهد الله العظيم ليوفين الله . وقد قال الله عز وجل : (ولاتنقضوا الأيمان بعد [٩١] توكيدها) (٦) . فلا تسأل عن

---

(١) سورة آل عمران . آيتا ١٤٠، ١٤١.

(٢) اقتحم الثوار على عثمان بن عفان داره ، بعد أن نشب القتال بينهم وبين من تصدى للدفاع عنه وذلك فى الثامن عشر من ذى الحجة سنة ٣٥ ﻫ وقتلوه ونهبوا بيته . وعرف ذلك اليوم بيوم الدار .

(٣) يشير إلى انتصار على بن أبى طالب فى موقعة الجمل التى دارت بينه ، وبين السيدة عائشة وطلحة والزبير وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٣٦ ﻫ .

(٤) هزم المختار وقتل فى الكوفة سنة ٦٧ ﻫ فى الحرب التى دارت بينه وبين مصعب بن الزبير .

(٥) فى أثناء حكم يزيد بن معاوية وعلى يد قائده مسلم بن عقبة المرى .

(٦) سورة النحل . آية ٩١ .

معاوية وعن صناعته غيرى (أى أنا أعرف به من غيرى)(١)لأنى قد أدركته ورأيت عمله وسيرته ، ولا أعلم أحدا من الناس أترك للقسمة التى قسمها الله، ولا لحكم حكمه الله ، ولا أسفك لدم حرمه الله منه . فلو لم يصب من البلايا الادم ابن سمية لكان فيه مايكفره . (٢) ثم استخلف ابنه يزيد فاسقا لعينا كافرا شاربا للخمر فيكفيه من الشر . فلايخفى عمل معاوية ويزيد على كل عاقل .

فاتق الله ياعبد الملك ولاتخادع نفسك فى معاوية ، فقد أدركنا أهل بيتكم يطعنون فى معاوية ويزيد ويعيبون عليهما كثيرا مما يصنعون . فمن يتولى عثمان ومن معه فإنى أشهد الله وملائكته أنى برىء منهم ، أعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا . نعيش على ذلك ونموت عليه إذا متنا ، ونبعث عليه إذا بعثنا ، ونحاسب بذلك عند الله .

وكتبت إلى تعذرنى الغلو فى الدين . أعوذ بالله من الغلو !! وسأبين لك ما الغلو فى الدين إذا جهلته . فالغلو فى الدين أن يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتاب الله الذى بين وسنة نبيه التى سن . وقال الله : (يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله غير الحق) (٣) ، وقال : (ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق) (٤)

كما غلا عثمان والأئمة بعده . وأنت بعد على سبيلهم وطاعتهم تجامعهم على معصية الله وتتبعهم [٩٢] وقد اتبعوا أهواءهم (قوم قد ضلوا من قبل،

---

(١) جملة اعتراضية من مؤلف الكتاب .

(٢) لعل كاتب المخطوطة يشير إلى ما عمله معاوية بن أبى سفيان فى سنة ٤٥ هـ حين رد اعتبار زياد بن سمية فى نسبه فأحب أن يجعله أخاه وأتى بشهود شهدوا بأنه ابن أبى سفيان وهذا ما يعبر عنه بالاستلحاق وهوما لا يجوز فى الشريعة الإسلامية . وأصبح زياد يعرف باسم زياد بن أبى سفيان . وقد دفع معاوية إلى ذلك الاعتبارات السياسية التى غلبها على الاعتبارات الدينية . ومنذ أن اعترف معاوية بزياد ابناً غير شرعى لأبيه : تفانى زياد فى خدمة البيت الأموى .

(٣) سورة النساء . آية ١٧١ .

(٤) سورة المائدة . آية ٧٧ — وهذه الآية لم ترد فى المخطوطة وإنما وردت فى الجواهر المنتقاة للبرادى .

وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل ، فهؤلاء هم أهل الغلو في الدين)(١) فليس من غضب لله حين عصى ، ورضى بحكم الله ، ودعا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنة المؤمنين بعده بغال في الدين !!

وكتبت إلى تعرض بالخوارج وتزعم أنهم يغلون في الدين ويتبعون غير سبيل المؤمنين ، ويفارقون أهل الإسلام (وأراد بذلك الغمز من المسلمين والطعن فيهم ، فألجمه ابن أباض رحمه الله بما أبداه له قائلا له في صراحة من القول)(٢) وأنا أبين لك سبيلهم.

هم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما أحدث من بدعة ، وفارقوه حين ترك حكم الله ، وهم أصحاب الزبير وطلحة حين نكثا (٣) ، وأصحاب (معاوية) (٤) حين بغى . وأصحاب علي حين بدّل حكم الله ، وحكم عبد الله بن قيس (٥) وعمرو بن العاص .

---

(١) في الجواهر المنتقاة للبرادى ، بعد وقد اتبعوا أهواءهم « واتبعتهم أنت عليها . وقال الله عز وجل : (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) فهؤلاء هم أهل الغلو في الدين » .

والآية من سورة المائدة . آية ٧٧ .

(٢) جملة اعتراضية من مؤلف الكتاب . ولاحظ انه يعني بالمسلمين الأباضية .

(٣) أي أن الأباضية كانوا أصحاب الزبير وطلحة وفارقوهما بعد أن نكثا بيعتهم لعلي بن أبي طالب .

(٤) بياض في أصل المخطوطة ، ونقلنا اسم « معاوية » من الجواهر المنتقاة للبرادى.

(٥) عبد الله بن قيس : هو أبو موسى الأشعري وهو ينتسب إلى كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان . قال الهيثم بن عدى . كان حليفاً لآل عتبة بن ربيعة وأسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية فأقام بها وقدم إلى جعفر فشهد خيبر ومات سنة اثنين وأربعين . وقال الواقدي وغيره : لم يكن أبو موسى من مهاجرى الحبشة قط ولا حليفاً لأحد ... ومات سنة ٤٢ هـ وقيل سنة ٤٤ هـ (انظر البلاذري : أنساب الأشراف ج١ ص٢٠١ تحقيق د. محمد حميد الله . معهد المخطوطات بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م) .

ومن كلام علي بن أبي طالب في شأن الحكمين « ... ألا وإن القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما تحبون ، وإنكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون وإنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول : إنها فتنة ... » (انظر : الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوى : نهج البلاغة . ص ٣٥٧ — دار الكتاب اللبناني بيروت . الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) .

فهم فارقوا هؤلاء كلهم ، وأبوا أن يفرقوا بحكم البشر دون حكم الله، فهم لمن بعدهم أشد عداوة وأشد مفارقة . كانوا يتولون فى دينهم وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ويدعون إلى سبيلهم ويرضون على ذلك . كانوا يخرجون ، وإليه يدعون ، وعليه يفارقون . وقد علم من عرفهم وعرف حالهم أنهم كانوا أحسن عملا وأشد قتالا فى سبيل الله .

هذا خبر الخورج ، شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداؤنا [٩٣] ولمن والاهم أولياؤنا بألسنتنا وأيدينا وقلوبنا (أى نحن معهم لكونهم على الحق. ولو أراد عبد الله بن أباض لكان وجدها عند عبد الملك المذكور، لكنا) (١) نعيش على ذلك ما عشنا ، ونموت عليه إذا متنا ، ونبعث عليه عند ربنا . إنا براء إلى الله من نافع بن الأزرق(٢) وصنيعه وأتباعه. لقد كان حين خرج على الإسلام فيما ظهر لنا (أى كان هو وأتباعه من جملة رجال المسلمين ،(٣) ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه ، فنبرأ إلى الله منهم .

وأنت كتبت إلى أن أكتب إليك بجواب كتابك ، واجتهد لك فى النصيحة ، وذكرتنى بالله وأفضل ما ذكرتنى به أن قلت (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب) (٤) ، (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)(٥). فقد بينت لك ، وأخبرتك خبر الأئمة. وكان حقا على أن أنصح لك ، فإن

---

(١) بين القوسين جملة اعتراضية كتبها مؤلف المخطوطة .

(٢) نافع بن الأزرق هو رأس فرقة الخوارج الأزارقة .

(٣) جملة اعتراضية كتبها مؤلف المخطوطة . كذلك كتبنا «كان هو وأتباعه» بدلا من «كانوا هو وأتباعه» كما هى فى اصل المخطوطة .

(٤) سورة البقرة . آية ١٥٩ .

(٥) سورة آل عمران . آية ١٨٧ .

الله لم يتخذنى عبداً لأكفر به ، ولا أن أخادع الناس بشيء ليس فى نفسى ، وأخالف إلى ما أنهى عنه . أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لتحل الحلال ونحرم الحرام ، ولا تظلموا الناس شيئا ، وأن يكون كتاب الله حكماً بينى وبينكم فيما اختلفنا فيه . وأن نتولى من تولى الله ، وأن نبرأ ممن تبرأ الله منه وأن نطيع من أمر الله بطاعته ، ونعصى من أمر الله بعصيانه فى [٩٤] كتابه . فهذا الذى أدركنا عليه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم . و ان هذه الأمة لم تسفك دما إلا حين ترك كتاب الله وسنة رسوله ونبيه ، وقد قال الله عز وجل : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب) (١) .

والقرآن هو السبيل الواضح الذى هدى الله به من كان قبلنا ، محمداً وأصحابه الخليفتين الصالحين ، ولا يضل من اتبعه ولا يهتدى من تركه وقال :

(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (٢) فاحذر أن تتفرق بك السبل وتتبع هواك ، فإن الناس إنما يتبعون فى الدنيا والآخرة إمامين ، إمام هدى وإمام ضلالة . فإمام الهدى الذى يتبع كتاب الله ويقسم بقسمة الله ، ويحكم بحكم الله ، وهو الذى قال الله عز وجل فيه : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) (٣) . وهؤلاء هم الأئمة الذين أمر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم .

وأما أئمة الضلالة فهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، ويقسمون بغير قسمة الله ويتبعون أهواءهم بغير سنة من الله . فهؤلاء هم الذين قال الله عز وجل : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) (٤) . وفيهم : قال

---

(١) سورة الشورى . آية ١٠ .
(٢) سورة الأنعام . آية ١٥٣ .
(٣) سورة الأنبياء . آية ٧٣ .
(٤) سورة القصص . آية ٤١ .

(فلاتطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً)(١) وقال : (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) . (٢) وهذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

|٩٥| فلا تضربن عن الذكر صفحا ، ولا تشكن فى كتاب الله .

وقد بعثت إلى بمرجوع كتابك فأنشدك الله لما قرأته وأنت مشغول حتى تتفرغ له وتتدبر معانيه وتنظر فيه بعين البصيرة . واكتب إلىّ جواب كتابى هذا إن استطعت ، وانزع لى الشواهد من كتاب الله والبينة منه فاصدق بذلك قولك . ولا تعرض لى بالدنيا فإنه لا رغبة لى فيها وليست من حاجتى، ولكن لتكن نصيحتك لى فى الدين ولما بعد الموت ، فإن ذلك أفضل النصيحة ، والله قدير أن يجمع بيننا وبينك على الطاعة ، فإنه لا خير فيمن لم يكن على طاعة الله ، وبالله التوفيق ، وفيه الرضا والسلام عليك » .

إلى هنا انتهى كتاب عبدالله بن أباض — رحمه الله ورضى الله عنه — لعبد الملك بن مروان . وفيه من الرشد والنصح والهدى ، والنهى عن مجانبة الحق والبعد منه والمقاربة للباطل والمتابعة له ؛ فإن متابعة الباطل توجب الباطل والردى، ولا يخفى ذلك على أحد .

وهكذا كان دأب العلماء الذين جعلهم الله حجة فى الدين وعمدة فى المسلمين ، لا ينظرون إلا إلى رضى الله عز وجل وإن أهلكوا ومزقوا إربا إربا لايبالون ذلك فى سبيل الله عز وعلا .

---

(١) سورة الفرقان . آية ٥٢ . فى أصل المخطوطة ولا تطع (الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيرا) .

(٢) سورة الكهف . آية ٢٨ . والآية (. . . ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه . . .) .

وإذا ألقى العاقل نظرة إلى كتاب عبد الله بن أباض رحمه الله ، علم منه مكانة الرجل من الحق ، ومنزلته العلمية . ولله رجال يحيى بهم ما أماتته الجبابرة ، ويوضح بهم سبيل الآخرة . فهم |٩٦| ظنائن الله فى خلقه ، يرشد بهم الجاهل ويهدى بهم الحيران ، ويظهر بهم معالم الدين ، ويدعو بهم إلى سبيل المؤمنين .

نسأل الله الرضى والتوفيق لنيل الهدى إنه كريم رحيم .

نبذة عن مؤلف الكتاب

ولد الشيخ العلامة والقاضى الفاضل ، أبو هلال سالم بن حمود بن شامس ابن سليم بن خميس السيابى السمائلى ، فى عمان ، فى آخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر للهجرة بين سنتى ١٣٢٦ و ١٣٢٧ هـ . أما مكان مولده فكان فى بلد غلا من أعمال مسقط حيث كان آباؤه وأجداده . ومع ذلك فإن مكان المولد غير محقق بالضبط. فقد تكون ولادته فى بلد الغريين (بفتح الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وبعدها ياءان أولاهما مشددة بعدهما نون) ، والغريين بلدة قديمة فى عمان وفى أعلاها حصن كركر . والمعروف أن الشيخ بدأ تعليمه فى بلدة الغريين فى أول دولة الإمام سالم بن راشد الخروصى .

وقد ظهر ذكاء ونبوغ الشيخ الجليل منذ طفولته المبكرة فقد ختم القرآن الكريم فى مدة وجيزة وانتقل الشيخ مع أسرته إلى سمايل . وأخذ يدرس النحو والصرف وفنون الأدب وعلوم الشريعة معتمداً فى ذلك على نفسه إلى حد كبير . وبدأ الشيخ الجليل حياته العامة مدرساً للنحو فى بلدة بوشر ، ثم مالبث أن ولى القضاء بها بعد وفاة قاضيها . وأخذ بعد ذلك يتقلب فى مناصب الولاية والقضاء فى أنحاء عمان إلى أن أصبح قاضيا للمحكمة الشرعية فى مسقط .

ومؤلفنا يملك زمام الشعر والنثر ، وله إنتاج وفير غزير فى النحو والصرف والآداب والفقه وأحكام الشريعة الإسلامية فضلا عن مؤلفاته فى التاريخ . كذلك له مؤلفات نظماً ونثراً فى المذهب الأباضى . وقد قمنا بنشر مخطوطته « أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج » التى ركز فيها المؤلف على بيان جوهر المذهب الأباضى ، ورجال المذهب وأعلام الدين ، وعدم صلة الأباضية بالخوارج . وقد نشرنا أيضاً فى كتاب « أصدق المناهج » النظم الذى سماه « وهب السما فى أحكام

الدما » وهو خاص بأحكام القصاص ، وكذلك قصيدته الميمية فى القسامة وهى أيضاً استكمالا لأحكام القصاص . . .

والشيخ الخليل يهتم اهتماماً كبيراً بعلوم الشريعة الإسلامية عامة وبالمذهب الأباضى خاصة ، هذا فضلا عن اهتمامه بتاريخ عمان وأنساب القبائل فيها . وله كتاب فى تاريخ القواسم عنوانه « إيضاح المعالم فى تاريخ القواسم » طبع ونشر بطلب من أمير رأس الخيمة الشيخ صقر بن محمد بن سالم . ومن كتبه التاريخية المطبوعة والمنشورة فى الشام كتاب عن تاريخ عمان وهو مقدمة لكتاب « عمان عبر التاريخ » .

ونلاحظ أن معظم مؤلفات الشيخ الخليل فى مختلف العلوم والفنون والآداب كتبت نظماً . ومن كتبه المخطوطة فى المذهب الأباضى هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم للقراء وهو بعنوان « إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء » وهو يحتوى على تراجم الإمام أبى الشعثاء جابر بن زيد وتلاميذه من حملة العلم إلى عمان وإلى اليمن وحضرموت وإلى شمال أفريقية . واختتم المؤلف الكتاب بسيرة عبد الله بن أباض .

نرجو من الله العلى القدير أن يطيل فى عمر الشيخ الخليل حتى يثرى المكتبة الإسلامية عامة والمكتبة العمانية خاصة .

دكتورة

سيدة إسماعيل كاشف

أهم المراجع

نثبت فيما يلى أهم المصادر والمراجع الخطية والمطبوعة التى اعتمدنا عليها فى تحقيق المخطوطة . وكان فى مقدمة مراجعنا القرآن الكريم ، وكتب الأحاديث النبوية والسنة الشريفة ثم دوائر المعارف والمعاجم المختلفة .

(أ)

المراجع المخطوطة

— ابن أبى بكر (أبو زكريا يحيى . ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) السيرة واخبار الأئمة . مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٩٠٣٠ ح .

— ابن أبى كريمة التميمى (أبو عبيدة مسلم . ت فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى) : رسالة فى أحكام الزكاة . مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢١٥٨١ ب .

— ابن عبد السلام (جعفر بن أحمد . ت فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى) : إبانة المناهج فى نصيحة الخوارج : مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢٥٤٩٩ ب .

— الأزكوى (سرحان بن سعيد . ت القرن الثانى عشر الهجرى) : كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة . مخطوطة فى المكتبة البريطانية فى لندن (مكتبة المتحف البريطانى) رقم ، Or. 807

— البرادى (أبو القاسم بن إبراهيم . ت ٦٩٧ هـ) : رسالة فيها تقييد كتب أصحابنا . مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢١٧٩١ ب .

- الجيطالى (إسماعيل بن موسى. ت ٧٥٠ هـ) : شرح قواعد الإسلام : مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢٢٠٦٧ ب .

- الخراسانى (أبو غانم . ت فى القرن الثانى الهجرى) : المدونة . مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢١٥٨٢ ب .

- الدرجينى (أبو العباس أحمد . ت فى القرن السابع الهجرى) : طبقات الأباضية . مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ١٢٥٦ ح ، ٧٢٦١٢ تاريخ تيمور .

- الشماخى (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخى الأباضى . ت ٩٢٨ هـ) :

١ - شرح مقدمة التوحيد . مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة. رقم ٢٢٥٧٢ ب .

٢ - شرح مقدمة أصول الفقه . مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٢١٥٨٧ ب .

- العوتبى (سلمة بن مسلم الصحارى العوتبى. ت القرن الخامس الهجرى) : أنساب العرب. مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢٤٦١ تاريخ

(ب)

المراجع المطبوعة

- ابن أبى الحديد (الشريف الرضى محمد بن أبى أحمد الحسينى . ت ٤٠٤ هـ) : كتاب نهج البلاغة . أربعة مجلدات . القاهرة ١٣٢٩ هـ ، وطبعة بيروت - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

- ابن الأثير (على بن أحمد بن أبي الكرم . ت ٦٣٠ هـ) :
١ - الكامل فى التاريخ . ١٢ جزءا . بولاق . ١٢٧٤ هـ
٢ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة . ٦ أجزاء . القاهرة ١٢٨٠هـ .

- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم بن عمر القيروانى . ت ١١١٠هـ / ١٦٩٨ م) : كتاب « المونس فى أخبار أفريقية و تونس » تونس ١٢٨٦هـ

- ابن حجر (شهاب الدين بن على العسقلانى . ت ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م) :
١ - الإصابة فى تمييز الصحابة . القاهرة ١٣٥٨ هـ
٢ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى . بولاق ١٣٠٠ هـ .
٣ - تهذيب التهذيب . دار صادر . بيروت . الطبعة الأولى .
٤ - الدرر الكامنة . دار الكتب الحديثة . القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .

- ابن حزم الأندلسى (الإمام أبو محمد على الظاهرى . ت ٤٥٦ هـ) : الفصل فى الملل والأهواء والنحل . موسسة الخانجى بمصر .

- ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى . ت ٢٤١ هـ) : كتاب الزهد . مطبعة أم القرى ١٣٥٧ هـ .

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥-١٤٠٦) .
١ - مقدمة ابن خلدون . القاهرة ١٣١١ هـ .
٢ - العبر وديوان المبتدا والخبر ، المعروف بتاريخ ابن خلدون - ٧ أجزاء - القاهرة ١٢٨٤ هـ .

- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعى . ت ٦٨١ هـ) : وفيات الأعيان . جزءان . القاهرة ١٢٩٩ هـ

— ابن الديبع (عبد الرحمن بن على الشيبانى. ت ٩٤٤ هـ) : تيسير الوصول إلى جامع الأصول لأحاديث الرسول (القاهرة ١٣٤٦ هـ) .

— ابن سعد (كاتب الواقدى . ت ٢٣٠ هـ) : الطبقات الكبير . ٨ أجزاء . ليدن ١٩٠٥ — ١٩٢١ م

— ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد . ت ٣٤٩ هـ) : العقد الفريد . ٣ أجزاء . القاهرة ١٣٤٦ هـ .

— ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافرى الحميرى . ت ٢١٨ هـ) : كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ٤ أجزاء . قاهرة ١٣٥٦ و ١٣٣٧ هـ .

— أحمد أمين :

١ — فجر الإسلام . القاهرة ١٩٢٨ م .

٢ — ضحى الإسلام . ٣ أجزاء . القاهرة ١٩٣٦ م .

— أحمد زينى دحلان :

١ — السيرة النبوية والآثار المحمدية (على هامش السيرة الحلبية) . القاهرة ١٣٢٠ هـ .

٢ — الشرح الكبير . بولاق ١٣١٩ هـ .

— الأزرقى (ت ٢٠٤ هـ أو ٢١٩ هـ أو ٢٢٣ هـ) : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . المطبعة الماجدية بمكة المكرمة ١٣٥٢ — ١٣٥٧ هـ

— الأزكوى (سرحان بن سعيد ت. القرن الثانى عشر الهجرى) : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة . تحقيق عبد المجيد حسيب القيسى — أبو ظبى ١٩٧٦ م .

— الاسفراينى (أبو المظفر بن طاهر بن محمد . ت ٤٧١ هـ) : التبصير فى الدين . نشر مكتبة الخانجى . مصر ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

— الأشعرى (أبو الحسن على بن إسماعيل ت ٣٣٠ هـ) : « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » . ج ١ و ٢ . تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

— البرادى (أبو القاسم بن إبراهيم . ت ٦٩٧هـ) : الجواهر المنتقاة. القاهرة ١٣٠٢هـ .

— البغدادى (عبد القاهر بن طاهر البغدادى . ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) : الفرق بين الفرق . دار الآفاق الجديدة . بيروت . الطبعة الأولى . ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م .

— البغدادى (أبو الفوز محمد أمين المشهور بالسويدى .القرن ١٣هـ) : « سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب » . بغداد ١٢٨٠ هـ

— البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز . ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٧ م) : كتاب المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب . باريس ١٩١١ م .

— البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر . ت ٢٧٩ هـ) : أنساب الأشراف . تحقيق الدكتور محمد حميد الله . مصر ١٩٥٩ م .

— البيضاوى (ناصر الدين عبد الله بن عمر . ت ٧٩١ هـ / ١٣٨٩م) : « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » ومعه حاشية شيخ زاده . إستنبول ١٣٠٣ هـ .

— الحارثى (سالم بن حمد) : العقود الفضة فى أصول الاباضية . دار اليقظة العربية فى سوريا ولبنان .

— الرازى (الإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب . ت ٦٠٦ هـ) :

كتاب « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » ـ مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

— الرازى (أبو محمد عبد الرحمن بن إدريس بن التميمى) : الجرح والتعديل . حيدر أباد . مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١ هـ

— الزركلى (خير الدين) . الأعلام . ١٠ أجزاء . الطبعة الثانية — مصر ١٩٥٤ — ١٩٥٩ م

— السالمى (أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمى) : تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان . الجزء الأول . الطبعة الأولى . القاهرة ١٣٣٢ هـ . والجزء الثانى . الطبعة الخامسة . الكويت ١٣٩٤ هـ .

— السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين . ت ٩١١ هـ / ١٥٩٥ م) : تاريخ الخلفاء ، القاهرة ١٣٥١ هـ

— الشاطبى الغرناطى (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى) : الاعتصام . ج ١ و ٢ . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٣٣٢ هـ

— الشماخى (أحمد بن سعيد . ت ٩٢٨ هـ) : كتاب السير . القاهرة ١٣٠١ هـ

— الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير . ت ٣١٠ هـ) : تاريخ الأمم والملوك . ١١ جزءا — الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية .

— المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد النحوى . ت ٣٨٥ هـ) : الكامل . جزءان القاهرة ١٣٢٣ هـ .

— المقريزى (تقى الدين أحمد بن على . ت ٨٤٥ هـ) :

١ — المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار . جزءان . بولاق ١٢٧٠ هـ

٢ — النقود الإسلامية . القسطنطينية ١٢٩٨ هـ

- الملا على القارى (نور الدين على بن محمد بن سلطان . ت ١٠١٤هـ) :
كتاب الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة ، المعروف بالموضوعات الكبرى . تحقيق محمد الصباغ . بيروت ١٩٧١ .

- الملطى الشافعى المعروف بالطرائفى (أبو الحسن محمد أحمد بن عبد الرحمن . ت ٣٧٧؟ هـ) : « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » الطبعة الأولى. القاهرة ١٣٦٨هـ . قدم له وعلق عليه، محمد زاهد بن الحسن الكوثرى وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً .

- حاجى خليفة (مصطفى كاتب شلبى . ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م) :
« كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » . ليبسك ولندن ١٨٣٥ / ١٨٥٨ م

- حسن إبراهيم حسن (الدكتور) : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . ٤ أجزاء القاهرة . طبع عدة طبعات .

- على مصطفى الغرابى : تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين . الطبعة الأولى . القاهرة ١٩٤٨ م .

- على يحيى معمر :
١ - الأباضية فى موكب التاريخ . القاهرة ١٩٦٦ م
٢ - الأباضية بين الفرق الإسلامية . القاهرة ١٩٧٦ .

- فرحات الجعبرى : نظام العزابة عند الإباضية الوهبيـــة فى جربة تونس ١٩٧٥ .

فلهوزن (يوليوس) : الخوارج والشيعة . ترجمة عبـــد الرحمن بدوى . القاهرة ١٩٥٨ م .

- كحالة (عمر رضا) : أعلام النساء . الجزء الثالث . دمشق ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م .

— محمد أحمد أبو زهرة المذاهب الإسلامية (القاهرة ١٩٥٩ م مجموعة الألف كتاب) .

— محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ و ٣ . القاهرة ١٩٦٣ م .

— ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى . ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) : معجم البلدان . ٨ أجزاء . القاهرة ١٣٢٣ هـ .

كشاف

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ل)

(م)

الفهرس

رقم الإيداع ١٩٧٩/٣٢٨٣

مطابع سجل العرب

٩ شارع عماد الدين ـ ت ٩٣٢٧٠٦